الإلحاد المعاصر

(أسبابه وشبهاته وطرق علاجه)

İbrahim ELDİBO
Veysi ÜNVERDİ

İKSAD
Publishing House

الإلحاد المعاصر

(أسبابه وشبهاته وطرق علاجه)

İbrahim ELDİBO
Veysi ÜNVERDİ

Editör
Mustafa ÜNVERDİ

DOI: https://dx.doi.org/10.5281/zenodo.10309538

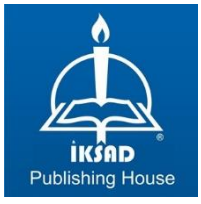

Copyright © 2023 by iksad publishing house
All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, distributed or transmitted in any form or by any means, including photocopying, recording or other electronic or mechanical methods, without the prior written permission of the publisher, except in the case of brief quotations embodied in critical reviews and certain other noncommercial uses permitted by copyright law.
Institution of Economic Development and Social Researches Publications®
(The Licence Number of Publicator: 2014/31220)
TURKEY TR: +90 342 606 06 75
USA: +1 631 685 0 853
E mail: iksadyayinevi@gmail.com
www.iksadyayinevi.com

It is responsibility of the author to abide by the publishing ethics rules. The first degree responsibility of the works in the book belongs to the authors.
Iksad Publications – 2023©

ISBN: 978-625-367-458-8
Cover Design: İbrahim KAYA
December / 2023
Ankara / Türkiye
Size: 16x24cm

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات.....1

المقدمة..... 5

المبحث الأول: دراسة تحليلية في أسباب الإلحاد وأنواعه وطرق علاجه.....11

أولاً: أنواع الإلحاد.....13

ثانياً: أسباب الإلحاد وعوامل انتشاره.....15

ثالثاً: الإلحاد المطلق.....17

رابعاً: الإلحاد بين القديم والحاضر.....20

خامساً: الإلحاد مشكلة نفسية.....23

سادساً: طرق علاج الإلحاد والوقاية منه.....27

المبحث الثاني: شبهات الملحدين والرد عليها.....35

المطلب الأول: نظرية التطور ودليل الارتقاء.....36

1-نظرية التطور بين المؤمن والملحد.....36

2- حقائق على إبطال نظرية التطور.....40

المطلب الثاني: شبهة وجود الشرور.....47

أولاً: حقيقة شبهة الشّرِ.....47

ثانياً: الهروب من الدِّين إلى الطبيعة والإلحاد.....50

ثالثاً: علاقة الشبهة بوجود الخالق.....53

رابعاً: أين حلُّ مشكلة الشر في الفكر الإلحادي.....54

خامساً: تفكيكُ الشبهة والبعدُ الأخروي.....57

المبحث الثالث: الشبهة العلمية في الإلحاد المعاصر(دراسة تحليلية نقدية).....63

المطلب الأول: حقيقة الإلحاد وظروف انتشاره.....63

أولاً: مفهوم الإلحاد، ومراحل تطوره.....63

ثانياً: ظهور الفكر الإلحادي المعاصر.....72

المطلب الثاني: الثورة العلمية ومبررات الإلحاد في الغرب.....82

أولاً: التقدم العلمي في وجه عصر الظلمات..... 82

ثانياً: الإلحاد المعاصر في مواجهة الأفكار السائدة في الثقافة المسيحية.....84

ثالثاً: الإلحاد بين العلمية والذاتية.....87

المطلب الثالث: نقض الشبهة العلمية للفكر الإلحاد.....92

أولاً: الفكر الإلحادي يقوم على الفكر المادي وليس البرهان العلمي.....93

ثانياً: حقيقة الملكات غير المادية.....100

ثالثاً: إجابات العلم.....105

الخاتمة.....111

المصادر والمراجع..... 115

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله رب العالمين، واهب الحياة، ومسبّب الأسباب، وخالق الإنسان في أتمّ صورة وأكمل تقويم، والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث رحمة للعالمين، والهادي إلى صراط الله وطريقه القويم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إنَّ نزعة الإلحادِ عبرَ التاريخِ القديم والفكر المعاصر استندت إلى شبهات عقلية ومبررات فكرية تخفي وراءها كوامن نفسية وظروفًا اجتماعية، وبواعث ذاتية تعاند الفطرة والعلم، إلا أنَّ أخطر ما تبناه الإلحاد المعاصر محاولة ترويج الفكر الإلحادي مصحوباً بشعارات العلم والتطور والتقدّم في المجالات العلمية والاكتشافات على مستوى الحياة المادية والاقتصادية، إلى غير ذلك من شعارات ومزاعم يصعب حصرها ومناقشة زيفها وضعف محتواها في بحث كتاب، لذلك اخترت

أهم ما يتعلق بهذا الموضوع، من دراسة لأسباب الإلحاد وأنواعه، وطرق علاجه، ومناقشة أبرز الشبهات التي يروجها الفكر الإلحادي، وسمَّيْتُ الكتاب **(الإلحاد المعاصر- أسبابه، وشبهاته، وطرق علاجه)**

ومع أن شبهات الإلحاد كثيرة ومتناقضة؛ بل إنها تصادم الفطرة وأصول الإيمان، إلا أنها تحظى باهتمام وترويج من الملحدين عبر وسائلهم الإعلامية وكتبهم وندواتهم التي يغررون بها الشباب، لذلك خصصت الجزء الأكبر من الكتاب لمناقشة ثلاث شبهات أساسية وهي: نظرية التطور والنشوء، ووجود الشر والمصائب والآلام، والشبهة المتعلقة بالعلم وزعمهم أن العلم المادي وقوانين الفيزياء تؤيد ضلالهم وتسند إلحادهم.

والشبهة الأخيرة هي أبرز ما يهتم به الفكر الإلحادي، ذلك أنهم يعتمدون على ما أنتجته التطورات المادية والبحوث التجريبية على

مستوى الحياة والمجتمع والإنسان ووسائل الصناعة والرفاهية، ويعدون كل ذلك أساسًا للفكر الإلحادي

فالكتاب في سائر موضوعاته يهدف إلى الكشف عن الخلط المقصود- عند الملحدين- بين ما أنتجته البحوث العلمية في جانبها التطبيقي، وبين استغلال تلك الإنجازات لإنكار الجانب الغيبي، والخالق المدبر، كما يهدف الكتاب إلى تأكيد الجانب المشرق في الدراسات العلمية التي تؤكد على أنَّ الإيمان بالله تعالى وصفاته من أهم العقائد، بل هي أصلها وأساسها، وأن كبريات قضايا الإيمان أسانيدها عقلية علمية.

وقد أرشدنا القرآن الكريم في كثير من الآيات لمنهج الردّ على المخالفين من خلال الأسس الصحيحة التي تقوم على العلم والعقل والفطرة في الإثبات والردّ والمناقشة، قال تعالى: **{وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا**

}[الإسراء:36] وقال تعالى: **{ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِين}[النمل:64]**

فالرد على شبهات الإلحاد المعاصر، هو مستوحى من منهجية القرآن في الرد على الضلال وأصحابه، وعلى أهل الكفر والشرك والأديان المحرفة والدهريين.

كما أن الكتاب يركز في رده على شبهات الإلحاد على الجانب المغري، وهو ألفاظ العلم والتطور والفلسفة، التي تستر النوازع الذاتية والظروف الاجتماعية والاقتصادية أو ظروف الأسرة التي تشكل عند بعض الشباب حوافز للتمرّد على كل ما هو مألوف أو مقدّس، ولو كان الذات الإلهية وقضايا الإيمان والفطرة والعقل.

ويؤكد الكتاب على أن كل شبهة يستند إليها الإلحاد المعاصر بشعار العلم والتطور، فإنَّ العلم ومناهج البحث المعاصرة تهدمها وتكشف ضعف محتواها، بل تناقضها أشدّ المناقضة.

ولم تكن فكرة الكتاب مبنية على سؤال واحد، بل عدّة أسئلة، من أهمها: هل منجزات العلم والبحث العلمي تشهد للفكر الإلحادي أم أنَّها تهدم أسسه، وتعرّي مزاعمه، وهل الفكر الإلحادي التزم بنتائج البحوث العلمية والتطور في مجالات العلوم التجريبية، أم أنه استسلم للفلسفات المادية وجعلها حكمًا على العلم وموازينه الدقيقة، وهل يمكن للعلم الحديث أن يكتفي بالمناهج التجريبية في إثبات الحقائق، أم أنّ الحقائق العلمية لها طرق ومناهج علمية تتناسب مع موضوعها؟

وقد اعتمدتُ في الكتاب على عدَّة مناهج في عرض الأفكار الرئيسة ومناقشتها، منها: المنهج الوصفي في عرض الشبهة والقائلين بها ، وأهم ما تستند إليه، والمنهج التحليلي في الكشف عن الأخطاء والتناقضات، والمنهج النقدي في ردّ تلك المزاعم وإبطال أسسها، بمنهجية علمية تستند على البراهين العقلية، والدراسات العلمية التي

التزم أصحابها بالضوابط المنهجية، وما نتنج عنها من نتائج ومنجزات في الفكر والعلم وإثبات الحقائق والإيمان بها.

واللهَ نسأل أن يكون في ذلك النفع، ونسأله تعالى التوفيق والسداد

المبحث الأول

دراسة تحليلية في أسباب الإلحاد وأنواعه وطرق علاجه

مقدمة:

لا ينكر أنَّ الإلحاد هو نهاية خطوات وشبهات فكرية أو نفسية منحرفة تشكل لدى أصحابها قناعات بعدم الحاجة للإيمان أو الاستغناء عن الوحي الإلهي، وإن كانت كثيرًا من تلك الحالات مردّها لأسباب نفسية وظروف اجتماعية أو سياسية أو تربوية، والحياة المعاصرة شهدت هزات عنيفة أسهمت في الترويج للإلحاد عبر وسائل وقنوات إعلامية، كما زاد الاهتمام بموضوعات الإلحاد وطرق علاجه في بلادنا العربية بعد أن انطلقت ثورات الربيع العربي مما جعل السياسة مسؤولة مسئولية مباشرة عن انتشار ظاهرة الإلحاد، حيث

أصبحت البلدان التي شهدت ثورات الربيع العربي أكثر الأماكن التي أصيبت بظاهرة الإلحاد، خاصة في ظل تعثر تلك الثورات ومحاولة إجهاضها واختطافها دينيًا وسياسيًا بواسطة قوى يمينية أو يسارية أو نظم قريبة فاسدة مما جعل الشباب يكفرون بقيم الحرية والكرامة والإنسان، فقد قاموا بالثورات وقدموا الشهداء ثم ضاعت جهودهم دون أن يروا ثمرات جهودهم فكفروا بكل شيء وتمردوا على الإله والدّين والعلماء وكلّ المقدسات[1].

كل ذلك يحمّل الدعاة والعلماء مسؤولية كبيرة وجهودًا كثيرة في دراسة أنواع الإلحاد وأسبابه والشبهات التي يتمسك بها الملحدون أو التي يروجها الإعلام لتزيين الفكر الإلحادي، ومن ثم الردّ عليها وكشف ضعفها وزيف محتواها العلمي ومعارضتها للفطرة وموازين

(1) راجع: الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة، مقدمة كتاب الإلحاد مشكلة نفسية، الطبعة الأولى، نيو بوك للنشر والتوزيع ص 11-12.

الفكر العلمية والمنطقية والفطرية، ومعالجة ظاهرة الإلحاد وتحصين الشباب ضد أي انحراف أو ضلال.

أولاً: أنواع الإلحاد:

قد يندرج تحت مسمَّى الإلحاد عشرات الأنواع وهي تختلف فيما بينها حول أسباب الإلحاد ودوافعه ودرجة الإلحاد وموقف الملحدين من قضايا الألوهية خاصة أو الأديان عمومًا، ونذكر أشهر تلك الأنواع[2]:

-**الإلحاد المطلق:** وهو إنكار الألوهية والوحي وما يتفرع عنهما من الرسل والرسالات والأديان عمومًا

-**الإلحاد الجزئي:** وهو الاعتراف بوجود خالق مع إنكار تصرفه وسيطرته على شؤون البشر

([2]) راجع: الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة، مقدمة كتاب الإلحاد مشكلة نفسية للدكتور عمرو شريف، ص 10 .Ayrıca bkz ; Kenan Sevinç, "Ateizmin Boyutları ve Tipleri", *İslami İlimler Dergisi,* 12/3, 2017, 101-132.

-**اللاقدرية والعدمية:** وهي اليأس من عدالة الأرض والسماء والشعور باللاجدوى، والنفور من أي عقيدة دينية أو شعيرة إيمانية

-**الإلحاد العابر:** ويظهر في مرحلة من مراحل العمر وخاصة في مرحلة المراهقة لدى الشباب، وهو أقرب ما يكون إلى تيار جارف ينساق معه بعض الشباب بدوافع نفسية أو ميول شخصية تعبيرا عن الذات أو طبيعة الشباب المتحمس لخوض أي تجربة ترضي حماسه واندفاعه غير العقلاني

- **الإلحاد الانتقامي:** وغالبا يتوجه إلى الانتقام من رمز أو رموز أو ممارسات دينية مكروهة أو مرفوضة، ويظهر بصور مختلفة قد تصل إلى الانتقام من كل عقيدة دينية أو التزام أخلاقي

-**الإلحاد التمردي:** وصاحبه يتمرد على السلطة أياً كان نوعها، وقد يصل به الحال إلى التعبير عن قوته بالتمرد على الإله والتعاليم الدينية نفسها.

ثانياً: أسباب الإلحاد وعوامل انتشاره:

تختلف أسباب الإلحاد لاختلاف الطبيعة البشرية ودوافع الملحدين وقناعاتهم الفكرية أو ميولهم النفسية، إلا أننا يمكن أن نجمل تلك الأسباب في الآتي:

- الغرور المعرفي والثقافي: وهو أساس يمهد طريق الانحراف الفكري، وقد يصل بصاحبه إلى الإلحاد والكفر بالإله والأديان عموما
- عدم وجود المربي أو الأب، أو وجود أب قاسي أو ضعيف.
- التشدد الديني: حيث يكون الفرد شديد الخوف من الله في الوقت الذي يكون متعطشا لارتكاب المعاصي، ولكي يعصي الله دون تأنيب ضمير يقنع نفسه بأنه ليس هناك إله وأن الإيمان بالغيب نوع من أنواع الخرافات.

- الإحساس بالنقص في تكوينه الشخصي ونواقص نفسية أخرى[3]: وهو دافع نفسي يجعل الملحد يكره نفسه بسبب وجود عيب في خلقته، فيكون إلحاده ثورة ضد خالقه واعتراضًا على وجوده بهذا النقص

- الاضطهاد ضد المرأة: وهو غالبا ينعلق بإلحاد المرأة التي قد تعاني نوعًا من الاضطهاد باسم الدين مما يجعلها تترك الدين وتشك في عدالة الله، أو تتبنى أفكارا متطرفة ضد الدين والشريعة

- سطوة الشهوات والميول المنحرفة وغالبًا لا يكون سببًا مستقلا ؛ ولكنه بمنزلة المحفز للجوء إلى الإلحاد كي يهرب من وخزة الضمير

([3]) د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ترجمة مركز دلائل، الطبعة الثانية 2003، دار وقف دلائل النشر الرياض، ص 24 .Bkz
Mustafa Ünverdi, "Ateizmin Nedenleri", 2. Uluslararası Mersin; Sempozyumu, Mersin, 2019, 228-242; Fatma Aygün, "Ateizme Yol Açan Faktörler", *e-Makalat*, 10/2, 2017, 531-562.

- مراهقة فكرية، ووسيلة للفت أنظار الآخرين(موضة) واستعراض العضلات وهذا يظهر لدى الأشخاص محبي الظهور
- الخطاب الديني المتشدد ، مع ارتفاع نسبة الجهل
- التخلف الاقتصادي والسياسي والتنموي
- اقتران القوة المادية بالإلحاد: حيث يرى بعض الملحدين أنّ الإلحاد سبب للقوة والعلم ويعتبر الدين مظهرا من مظاهر التخلف والجهل[4]

ثالثاً: الإلحاد المطلق: الإلحاد في غالب حالاته ليس إلحادًا مطلقًا وإن تظاهر صاحبه بذلك، بل قد يكون لونًا من ألوان التمرد

(4) راجع: الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة، مقدمة كتاب الإلحاد مشكلة نفسية للدكتور عمرو شريف، الطبعة الأولى، نيو بوك للنشر والتوزيع، ص 11.

والجحود، أو التعبير عن موقف نفسي من مظاهر التدين والمعتقدات الدينية.

فالإلحاد بمعناه المطلق هو إنكار الإله الخالق، جاء في الموسوعة الفلسفية: الإلحاد: مذهبُ مَن ينكرون الألوهية، والملحد غيرُ مؤلّه[5]، وفي موسوعة لالاند الفلسفية: الإلحاد عقيدة قوامها إنكارُ وجود الله [6]، وقد أطلق على من ينكر الإله الصانع اسم الدهرية، وقد أشار إليهم القرآن بقوله: (**وقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ**) (الجاثية:24) وهي طائفة قليلة عبر التاريخ، وهذا يدل على أن أكثر حالات الإلحاد ليست إلحادًا حقيقيًا وإنما هي انحراف وميول، أو تمرد وومراهقة فكرية أو انتقام من الإله أو الرموز الدينية

(5) مجمع اللغة العربية في القاهرة: الموسوعة الفلسفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بمصر، 1983م، ص 20.

(6) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، 1996م، 107/1.

وقد جرى نقاش حول وجود إلحاد حقيقي في صالون بارون دي هولباخ (ت1789م)، فكان ديفيد هيوم (ت1776م) فيلسوف الشك يتساءل عما إذا كان الملحدون موجودين بشكل فعلي، فأجابه دي هولباخ أنّ هيوم كان يجلس على طاولة تضم سبعة عشر ملحدًا[7].

واضح من االسؤال أولاً ولإجابة ثانياً أنَّ هناك من ينكر وجود إلحاد حقيقي، وهذا يؤكد على أنَّ مفهوم الإلحاد أوسع من كونه إنكاراً لوجود الله، لأنَّ الذين يحضرون في صالون دي هولباخ لم يكن أكثرهم منكرا لوجود الإله الصانع، بل كانوا من الشكاك والمتمردين والربوبيين.

(7) راجع: ول ديورانت، قصة الحضارة عصر فولتير، ص696.

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%88%D9%86_%D8%AF%D9%8A_%D9%87%D9%88%D9%84%D8%A8%D8%A7%D8%AE

فالإلحاد في غالب حالاته ليس إلحادًا مطلقا بمعنى إنكار الصانع وإنما هو إلحاد انتقامي أو تعبير عن موقف من الإله وصفاته أو تمرد على الشريعة والتشريعات الإلهية

رابعاً: الإلحاد بين القديم والحاضر:

منذ العصور الأولى للحضارة الإسلامية ظهرت بوادر إلحاد خفي، يتجه إلى نقد النص الديني ونقد النبوة، وهي ظاهرة روح الإلحاد العربي حيث اتجه إلى فكرة النبوة والأنبياء دون الألوهية، بينما نجد الإلحاد في الحضارات الأخرى كان يتجه مباشرة إلى فكرة الألوهية ولا فارق في النتيجة النهائية بين الموقفين لأنّ كليهما سيؤدي في النهاية إلى إنكار الدين، فإنكار الإله عند اليوناني ينفي الدين، وإنكار الإله اللانهائي عند الغربي ينفي الدين، وبإنكار النبوة والأنبياء عند العربي يزول الدّين، لذلك قلنا بأنَّ الإلحاد عند العربي خفي، فهناك معنى متستر وراء نقد النبوة والأنبياء؛ لأنهُ مادامت النبوة هي السبيل الوحيد

الذي تعرفه هذه الروح العربية للوصول إلى الألوهية فإنها بقطعها إياه تكون قد قطعت في الوقت نفسه كل سبيل إلى الألوهية[8].

ولكن الإلحاد المعاصر في البلاد العربية والإسلامية بدأ يتأثر بالفلسفات الغربية وعلماء الطبيعة الغربيين الذين أشاعوا فكرة الإلحاد ودافعوا عنها وفق معطيات مادية تنكر عالم الغيب والدين، وبذلك أصبح الإلحاد يرتبط بمسائل أخرى غير النبوة، مثل إنكار الخالق أو التمرد على الفعل الإلهي وإنكار صلة الإله بالحياة والإنسان.

فبدأ الإلحاد المعاصر مع فئة من علماء الطبيعة والفلاسفة الماديين، ثم انتقلت بعض فلسفاتهم إلى بلادنا العربية والإسلامية، وشكل ذلك حافزا للتمرد ضد الثوابت والقيم والمبادئ الإسلامية، وأصبح من السهل للشباب أن يعبر عن تمرّده في إعلام مفتوح مستندًا في ذلك إلى مظاهر تقدم مادي وحضاري للعالم الغربي ويقابله تخلف

[8] راجع: د.عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، سينا للنشر، الطبعة الثانية 1993م، ص 7.

حضاري في البلاد العربية والإسلامية ؛ فشكل ذلك حالة احتقان وتمرد ورفض لكل مظاهر التدين أو المقدسات، وحتى للدين نفسه، وبذلك وقع بعض الشباب في براثن الإلحاد والهزيمة النفسية أمام سطوة العالم المادي ومنجزاته وإغراءاته، والأفكار التي يروجها الملحد عن الدين وعن الإله وعن القيود التي يفرضها التدين على العقل والحياة، وأنه يجب تنحية الدين عن الحياة وإدارة شؤونها، وكأن الدين هو عدو العقل والحياة، وحجرة أمام أي تقدم حضاري

كل ذلك يجعلنا نقول بأن الإلحاد المعاصر في أبرز مظاهره أزمة نفسية، وعجز حضاري وهروب من واقع ديني ، وقد عبر عن ذلك عبد الرحمن بدوي فقال بأنه نتيجة لازمة لحال النفس التي استنفدت كل إمكانياتها الدينية، فلم يعد في وسعها بعد أن تؤمن[9].

[9] راجع: د.عبد الرحمن بدوي: من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ص 7.

لذلك شهد العالم العربي والإسلامي مع منتصف القرن التاسع عشر بذور التمرد على النص المقدس والدعوة إلى التحرر من الأحكام الشرعية متأثرين بالفكر الغربي المادي الذي ثار على الكنيسة وانتصر لمنجزات العلم والحضارة ودعا إلى تنحية الكنيسة ورجال الدين عن شؤون الحياة، إلا أنَّ هذه الدعوات التغريبية كانت غريبة عن البيئة الإسلامية والمصادر الإسلامية.

فظهر –في بلادنا العربية والإسلامية– من يجاهر بالإلحاد متلبسًا بمزاعم فلسفية وإشكالات علمية، وحقيقة الأمر أنَّ تلك الأسئلة الفلسفية والعلمية لم تكن إلا ستارا لدوافع اجتماعية ونفسية وسياسية، وهذه الدوافع المتعددة ليست طابعًا خاصًا بظاهرة الإلحاد في العالم العربي وإنما هي طبيعة الظاهرة الإلحادية بشكل عام.

خامساً: الإلحاد مشكلة نفسية: أكثر علماء النفس لم يتعرّضوا لدراسة نفسية الملحد؛ لأنَّ الكثيرين منهم كانوا ملحدين، إلا أنّ هناك العديد

من الدراسات والإحصائيات التي تؤكد على وجود خلفية نفسية تربوية للإلحاد ويأتي على رأس هذا التيار بروفيسور أمريكي في الطب النفسي هو (د.بول سي فيتز) الذي نشر ورقة في (علم نفس الشواذ) قال فيها: إنّ كثيرًا من علماء النفس يتبنون موقفًا معارضا للدين ولذلك كانوا يعارضون أية محاولة لتسليط الضوء حول سيكيولوجية الإلحاد [10]، وقال أيضاً: فإنَّ الإلحاد القوي أو الحادَّ ينتج بدرجة رئيسة من الحاجات النفسية الغريبة لأنصارها[11]. وأكد – في رده على الدراسات الغربية والغريبة في تحليل الحياة الدينية– على أنّ الحياة الدينية مرتبطة بمزيد من الصحة البدنية والسعادة النفسية[12].

وفي كتابه "الإلحاد مشكلة نفسية" يشير الدكتور عمرو شريف– متأثرًا بـ بول فيتز– من خلال دراسة استقرائية تحليلية لحياة وفلسفات

([10]) راجع: الأستاذ الدكتور أحمد عكاشة، مقدمة كتاب الإلحاد مشكلة نفسية للدكتور عمرو شريف، الطبعة الأولى، نيو بوك للنشر والتوزيع، ص 9.

([11]) د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ترجمة مركز دلائل، الطبعة الثانية 2003، دار وقف دلائل النشر الرياض، ص 23.

([12]) راجع: د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ، ص 31.

أشهرِ الملحدين الغربيين أنَّ دوافع الإلحاد عندهم ليست عقلانية أو فلسفية وإنما هي دوافع نفسية، كما عرض عدة نظريات تفسر الظاهرة الإلحادية عبر مقاربات علم النفس، فعلى سبيل المثال، ثمّة دراسة بعنوان "النمط النفسي للملحد" شملت 320 ملحدًا من الذكور الأميركيين، كشفت الدراسة أنَّ نصف من تبنوا الإلحاد كخيار فقدوا أحد والديهم قبل سنّ العشرين، وأن عددًا كبيرًا منهم عانى كثيرًا في طفولته وصباه، ما دفع أحد الباحثين المشاركين في الدراسة إلى التوصية بضرورة دراسة ظروف نشأة وتربية الملحدين عند رصد ظاهرة الإلحاد. والملفت أنه يمكن تطبيق تلك التوصية على ملاحدة أو لا أدريين أو حتى ربوبيين كبار مثل: فولتير (ت1778م)، وبارون دي هولباخ(ت1789م)، آرثر شوبنهاور (ت 1860م)، وبيرتراند راسل (ت1970م)، وجان بول سارتر (ت1980م)، الذين عانوا جميعًا من ظروف أسرية صعبة اختلّ فيها التوازن الأسري بشكل كبير فارتدّ ذلك

عند هؤلاء لا إلى صورة الأسرة فحسب؛ وإنما إلى مفهوم الإله كذلك (13)

قال بول سي فيتز: أفترض أن العوائق الرئيسة للإيمان بالإله ليست عقلانية ويمكن أن يطلق عليها المعنى العام أنها نفسية.[14] وعندما تكلم عن فولتير قال بأن رفض الإله عنده معتقد لا يليق بعقل ناضج[15] وكشف عن الدوافع النفسية للإلحاد عند الملحد الأشهر في العالم (فريدريك نيتشة ت 1900م) ، وعند ملحدين آخرين وقال عن (جاك مليه 1729م): مهما كانت دوافعه الداخلية فلا يمكن اعتبارها عقلانية، وبمعنى آخر كان الدافع لإلحاده إلحادًا نفسيًا وليس فلسفياً[16].

([13]) راجع: ا.د.عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية ، الطبعة الأولى، نيو بوك للنشر والتوزيع، ص 119 وما بعدها. وقد سبقه لتلك الدراسة الاستقرائية بول فيتز في كتابه نفسية الإلحاد، ودرس حياة أشهر الملحدين وأعتاهم

([14]) د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ترجمة مركز دلائل، الطبعة الثانية 2003، دار وقف دلائل النشر الرياض، ص 25.

([15]) د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ص 3.

([16]) د.بول سي فيتز: نفسية الإلحاد ، ص63، 85.

وواقع الإلحاد والظروف التي رافقت حياة الملحدين تؤكد أنَّ مشكلات شخصية أو ظروف اجتماعية ونفسية كانت وراء تبني كثير من المواقف الإلحادية.

سادساً: طرق علاج الإلحاد والوقاية منه

طرق العلاج والوقاية من الإلحاد لها أساليب مختلفة وجوانب متنوعة، ولا يمكن أن يؤتي العلاج ثمراته بشكل كبير ما لم يتم التكامل بين تلك المستويات، ومراعاة حال أصحاب الشبهات، ويمكن أن نلخص أهمّ طرق الوقاية والعلاج:

1- التحصين العلمي والإيماني:

وذلك بالتمسك بالاعتدال والوسطية، وانتهاج التفكير الإيجابي، وتعزيز روح الحوار في الأسرة، ومعالجة المشكلات التي تمس هذه القضية، وأخذ العلم من مصادره الصحيحة، وننوه هنا إلى قضية

مهمة، وهي أنَّ الإسلام حينما عالج هذه القضية راعى الفرق بين نوعين مختلفين مما يرد على الأذهان:

النوع الأول : الوساوس والخواطر العارضة

والنوع الثاني : التساؤلات النابعة من شبهات ومقدمات فكرية.

فعلاج الوساوس بالإعراض عنها والاستعاذة منها، **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيم}**[الأعراف:200] **{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُون}**[الأعراف:201] وفي الحديث الصحيح عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ "[17]

(17) أخرجه البخاري ومسلم.

فكان علاجًا إيمانيًا واقعيًا ميسورًا، لأنهُ لا يكادُ يسلَمُ أحدٌ من الوساوس في حين من الأحيان، وهي إذا وردت وعولجت هذا العلاج لم تستقر في القلوب.

وعلاج النوع الثاني بالعلم والحجة والبرهان، فَجَعَلَ لكل نوع ما يناسبه، فكان علاجًا علميًا مبنيًا على إزالة الشبهة بالدليل والبرهان، ومن خلط بين النوعين جاءه الإشكال، فقد يظنُّ أن الإسلام ينهى عن معالجة الشبهات حول التساؤلات الكبرى، ويقتصر على الاستعاذة والانتهاء، أو قد يظنُّ في المقابل أنَّ الأسلوب الأمثل هو الاسترسال مع كل ما يخطر في الذهن من وساوس حول مسائل الدين أو غيرها، حتى يقع في الوساوس القهرية والاضطرابات النفسية وما هو أبعد من ذلك.

2- التذكير بالآيات القرآنية والحجج الإيمانية فيه: إنَّ القرآن الكريم أعظم كتاب يُعالج به الإلحاد، وهو مليء بأقوى الحجج والبراهين

العقلية والعلمية والفطرية التي تدحض شبهات الملحدين، ومخطئٌ من ظن أنَّ القرآن مجردُ آياتٍ تؤخذ بالإيمان الأعمى والتصديق المجرّد، وما من ملحد مهما بلغ في إلحاده يفتح عقله ساعة ويتجرد من التعصب برهة ويطلب الحق بإنصاف وتجرد ويتدبر في آيات القرآن البليغة التي تخاطب العقول والقلوب إلا وينصاع لصوت الحق الدامغ

إن من مواضع النقص والعجز في إقناع الشباب أن يكون الكلام كلامًا عاطفيًا بعيدًا عن العقل أو ساذجًا بسيطًا لا يرتقي إلى درجة الإقناع ولا يتناسب مع حجم الشبهة، أو عقليًا جافًا مقطوع الصلة بالفطرة والوجدان، فينبغي أن نتأسى بالمنهج القرآني وهو يتحدث عن الألوهية ومواضيع الإيمان، فتجده يخاطب المنكرين خطابًا ينفذ إلى أعماق القلب و العقل، قال سبحانه: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ**

صَادِقِينَ}(الأحقاف: 4) فأسلوبُ القرآن يملكُ على الإنسان أقطار نفسه ويقودها إلى الحق، وبمثل هذه الطريقة القرآنية التي تخاطب الإنسان وتجعل منه قاضيًا على نفسه وشريكًا في البحث عن الحقيقة، يبدو نور الحق لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

3- الحكمة والحرص في معالجة الإلحاد:

قد تكون بعض الأساليب والطرق غير الحكيمة سببًا من أسباب شيوع الإلحاد لذلك كان أهم طرق الوقاية من الإلحاد النظر إلى الشباب الحائر نظرة شفقة ورحمة بهم، فهم يحملون أفكاراً تؤرقهم، ومن ثَمّ يحتاجون إلى من يناقشهم ويساعدهم في الخلاص من قلقهم وألمهم، لا من يتهمهم بالكفر والإلحاد؛ ويرسخ فيه نفوسهم العناد، ولا يبالي بحياتهم ولا يهتم بسعادتهم، وقد كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يتعامل مع من ارتكب كبيرة بمنتهى الشفقة لدرجة أنه بدا الأسى عليه – صلى الله عليه وسلم – عند تطبيق حدّ السرقة لأول

مرة حتى قال الصحابة: "يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّكَ كَرِهْتَ قَطْعَهُ ؟ قَالَ: وَمَا يَمْنَعُنِي، لَا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ" [18]، هذا الشعور النبيل ينبغي أن يغمرنا عندما نرى حائرًا أو من ينساق وراء شبهاتِ الإلحاد، وينبغي أن نضع نصب أعيننا ونحن نتعامل مع المخطئين "لا تكونوا عونًا للشيطان على أخيكم"

4- الاعتدال والوسطية في الخطاب الديني:

وذلك بالتزام الخطاب المعتدل، وتعزيز ركائز الإيمان والعقيدة السليمة، وإبراز محاسن الإسلام وكماله، والتصدي لمظاهر تشويهه من قبل المتطرفين والغلاة، وفك أي ارتباط يرمي إلى ربط الدين بأي ممارسة خاطئة أو سلوك شائن أوفكر منحرف، وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول العلاقة بين الدين والعلوم الطبيعية وغيرها، والتصدي للشبهات بالحجة والتصور السليم، وبناء الجسور مع الأجيال الناشئة،

(18) أخرجه أحمد في مسنده، وابن حبان في صحيحه.

وتجديد لغة الخطاب، وتقديم المادة العلمية والوعظية بأسلوب متميز ووفق معايير تراعي المعاصرة وتواكب التحديات.

كما يتم الاهتمام بالخطاب الوسطي عبر المحاضرات والندوات والمواعظ وغيرها، والاستفادة من الإعلام التقليدي والحديث، وتأهيل الدعاة لحسن خوض هذا المضمار، وعمل الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تخدم هذا الباب، ووضع الاستراتيجيات المثلى لمواجهة الإلحاد.

5- اهتمام الجامعات والإعلام والدعاة بدراسة أسباب الإلحاد والرد على الشبهات

وذلك بتأهيل طلبة العلم الشرعي لمواجهة هذه المشكلة بالطرق السديدة، ووضع برامج لأطروحات الماجستير والدكتوراه تُعنى بجوانب هذا الموضوع من كافة أبعاده، وتواكب ما يستجد حوله؛ لإثراء المكتبة العربية والإسلامية وتزويد القرَّاء بالتصانيف المتميزة.

وأن تكون هناك توعية إعلامية تركز على خطورة هذه المشكلة، وبيان مفاسدها، وعمل البرامج والمبادرات التي تُعنى بهذا الأمر، والاستعانة بالمتخصصين فيه، والتزام الثقافة الإيجابية، والإعلام الهادف، والعمل على نشر ثقافة التنمية والازدهار ومكافحة الفقر والتخلف، وسنّ القوانين التي تكافح الإلحاد، وتدعم الخطاب الديني المعتدل.

6- التعاون بين علماء الشريعة والمتخصصين في العلوم الأخرى:

لابدَّ من التعاون بين علماء الشريعة وعلماء التخصصات الأخرى، وهذا يوحّد الجهود وينظمها في الردّ على الإشكالات التي تنطلق من أصول فلسفية أو متصلة بالعلوم الطبيعية.

وسأتناول في المبحث الثاني بعض تلك الشبهات والرد عليها

المبحث الثاني: شبهات الملحدين والردّ عليها

الردّ على الشبهات الإلحادية من أهم طرق تحصين الشباب ووقايتهم من الانحرافات الفكرية، ويسعى الملحد عبر وسائل إعلامية أو كتابات وحوارات إلى تزيين الفكر الإلحادي وتسويقه وربطه بالمظاهر الحضارية أو العلمية أو النظريات المادية، لذلك كان لا بد من التصدي لتلك الشبهات بشكل تفصيلي وبيان زيفها وأساليب ترويجها، وفضح أسسها الواهية، وقد وجدت أن هناك شبهات أساسية يعتمد عليها الملحد منها نظرية التطور، ووجود الشر، والتطورات العلمية والحضارية وربطها بالمادة، وسأتناول تلك الشبهات بكشف حقيقتها وبيان وجوه الضعف والزيف في محتواها وطريقة الاستفادة منها.

-نظرية التطور ودليل الارتقاء

- وجود الشرور

المطلب الأول: نظرية التطور ودليل الارتقاء

1-نظرية التطور بين المؤمن والملحد:

تعدّ نظرية التطور التي قال بها (تشارلز داروين) من أبرز المستندات التي يتمسك بها الملحدون المعاصرون، ويحاولون تفسير كل مظاهر التطور من خلالها، وذلك استبعادًا لفكرة وجود إله مصمم للكون وخالق للإنسان، قال ريتشارد دوكنز بأسلوب مرتاب: " تصميم الحياة يمكن تفسيره بطريقة أكثر أناقة واقتصادية، بكثير بناء على نظرية الانتخاب الطبيعي لداروين" [19]، ومع أنه كان يعد فكرة التصميم من أقوى الحجج لدى المؤمنين، إلا أنه يرد عليها من خلال فكرةِ التطور، ويرى أنه جواب على كل مظاهر التصميم [20]

([19]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، 2009، ص 4، 41; Mustafa Ünverdi, "Din Karşıtı Yayınlar ve Gençlerde Ateistik Eğilimlerin Nedenleri", *İlahiyat Akademi Dergisi*, 2020/12, 147.

([20]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، ص 56 -58.

هذه من أبرز الحجج التي يتكئ عليها الملحد مع أنَّ داروين نفسه قال بأنّ هناك فراغات في نظريته لا يستطيع الإجابة عنها، واعترف بوجود اعتراضات خطيرة وكثيرة، فقال في كتابه (أصل الأنواع): "وأنا لا أنكر أنَّ هناك اعتراضات خطيرة وكثيرة" [21]، وانتهت تلك الاعتراضات إلى نسف تلك النظرية وعدم اعتمادها في المجالات العلمية، ففي عام 1972 منعت وزارة التعليم الأمريكية تدريس نظرية داروين في العلوم والبيلوجيا كحقيقة علمية، وبدأت تدرس في علم الفلسفة والآداب كنظرية [22]

ونظرية التطورِ رغمَ وضوحِ فكرتها الأساسية في الدلالة على وجود الله تعالى وقدرته ومشيئته ورحمته بخلقه؛ إلا أنّ الملحدين نظروا إليها من جانب آخر بعيد عن الإيمان والفهم السليم، فزعموا أنّ أنواع الحياة قد وجدت نتيجة لعمل مادي في النشوء والارتقاء؛ وقالوا بأنَّ

([21]) راجع : تشارلز داروين : أصل الأنواع، ترجمة إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، 2018م، 669

([22]) راجع : أصل الأنواع، ص 119 ، 669، وراجع: لقاء مع الشيخ أبي زيد الإدريسي : https://m.facebook.com/Abouzaid.Elmokrie.Elidrissi/videos/2116187802005471/

المخلوقات طورت نفسها بفعل المادة، وأنها تولدت عن بعضها للتشابه بينها، وأن بقاءها يعود إلى قدرتها على التكيف مع الظروف التي تحيط بها.

والواقع أنه ما من مؤمن بالله عز وجل، وصاحب فهم سليم، إلا وهو يعلم أنّ وجود الخلق على هذه الحالة إنما يعود إلى مشيئة الله وقدرته؛ ولتنظيم الحياة على سنَّة واحدة ، **(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)** (الأحزاب: 62) وأنَّ ما يزعمونه من تطور المخلوقات بنفسها بفعل المادة إن هو إلا خرافات سخيفة وأوهام مريحة في فكر الملحدِ، ولو كان ذلك صحيحًا لأدَّى التطورُ إلى أنْ تصبحَ الذرّة جملاً أو فيلاً ضخمًا فما الذي يمنعها وقانون التطور يجيز ذلك حسب زعمهم!

وقد مرَّت ملايين السنين ولا تزال الذرّة هي الذرة، والجمل هو الجمل، والإنسان هو الإنسان، لم يتطوّر من قرد إلى إنسان إلا عند

"داروين" الذي أصبحت نظرياته محلَّ سخرية العقلاء من الناس وضحكهم منها.

وإذا كان الارتقاء بمعنى أنَّ الإنسان والحيوان يكون في أوله صغيرًا ثم يكبر شيئًا فشيئًا إلى أن يكتمل- كما يقول أهل الإيمان- فهذا أمر حقيقي مشاهد وهو يدلُّ على قدرة عظيمة تربيه وتهتم به إلى أن يصل إلى درجة الاكتمال، وهو صريح قوله تعالى:**(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)** (نوح: 14)

وإلى جانب هذه الآية هناك آيات كثيرة تدلُّ على التطور والارتقاء في حياة الإنسان والحيوان والنبات، بل إنّ سنة التطور هذه تغمرها الألطاف الإلهية والحِكَم الباهرة، فلو كان للطفل المولود أسنان حادة من أول يوم لما استطاعت أمه أن ترضعه، ولو أنه ولد شابًا لما وجد ذلك الحنان بينه وبين أمّه وأبيه وأهله، ولو كانت الشمس تسطع حرارة منذ بزوغها لما وجد لها هذا الحب في استقبالها وفي غروبها كل

يوم؛ ولكن الملاحدة قلبوا الأمر فجعلوا ما كان دليلاً واضحًا على قدرة الله تعالى ووجوده دليلاً على إنكار وجوده ومظاهر لطفه، لأنَّ عقولهم غلف، وقلوبهم طبع عليها، فلا يرون ضوء الشمس رغم شدة وضوحه، وينكرون الحقائق مع تمام ظهورها.

2- حقائق على إبطال نظرية التطور:

يزعم الملحد -استنادًا إلى نظرية الارتقاء- أنَّ الكائنات الحية نشأت عن التولُّد، وأن تكيّفها مع الظروف هو الذي أبقاها، وهو صريح في إنكار القدرة الإلهية، بل هناك حقائق مسلَّمة يؤكدها الدّين والعقل بدلالتها على الخالق العظيم، ويبطل نظرية التطور وما ينبني عليها من إلحاد، ونشير لبعض من تلك الحقائق:

- الكائنات الأدنى كالنبات وجدت قبل الكائنات الأرقى كما يذكر الباحثون، فالإنسان هو أرقى الكائنات الحية ومع ذلك وجد متأخرًا، بينما سبقته النباتات بالظهور، فالله عز وجل خلق السموات

والأرض، وخلق الأرض قبل البشر وقدر فيها أقواتها وما يحتاج إليه البشر حين يوجدون عليها.

– يوجد كثير من أوجه الشبه بين الكائنات الحية، كالإنسان والقرد؛ ومع ذلك بقي كل كائن كما هو على طول المدى لم يتحوَّل القرد إلى إنسان ولا الإنسان إلى قرد، ولا النبات إلى إنسان، ولا الجمل إلى بشر، ولا البشر إلى ملائكة، فهناك عوالم مختلفة منذ نشأتها الأولى، كانت وما زالت على خلقتها الأصلية، ولا وجود لأيّ أثر من نظرية التطور الداروينية، أو الأفكار الإلحادية التي تبنت نظرية الارتقاء والنشوء

– الكائنات الحية تملك قدرة على التكيف مع الظروف ، مثال ذلك:"ظهور المناعة لمقاومة الأمراض، تغير لون الجلد لمقاومة الحرارة وأشعة الشمس، تهيئة ظروف الحمل والولادة في بطن الأم" كل ذلك لا علاقة له بقانون التطور المادي، بل هو تدبير إلهي وقصد رباني.

– إنّ كلَّ هذه الثوابت الإيمانية المتعلقة بخلق الله تعالى للإنسان، وتدبير شؤون الحياة بحكمة وقدرة ، لا يعارضها العلم أو العقل، وهي من أوضح الأمور على قدرة الله تعالى وكمال علمه وعظيم حكمته.

– وجودُ التشابه بين الكائنات الحية، لا يعني أنَّ كلَّ كائن تولد عن شبهه، بل إنَّ العلم والدين كلاهما يثبتان أن التشابه بين الكائنات الحية مع بعضها البعض، أو مع بعضها وأخرى ليست من جنسها إنما هو دليل قاطع على أنّ مصدر الإيجاد واحد، وهو الله تعالى **(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)**(الرعد: 16) ولو أن الكائنات كلها تولد بعضها عن بعض لما كان هناك فرق، في مفاهيم العقلاء بين أن تقول لإنسان أنت قرد أو كلب أو شجرة، وبين أن تقول له أنت إنسان أو قمر أو وردة ؛ لحصول التولد الذي زعمه الملاحدة بنظرياتهم السخيفة إذ ما

دامت الكائنات كلها تولدت عن بعضها البعض فلا يبقى بينهم أي فارق حقيقي.

-إنَّ صاحب نظرية التطور والانتقاء الطبيعي (تشارلز داروين 1882م) كان نفسه متشككًا وغير متأكد من نظريته، دليل ذلك ما كتبه في كتابه (أصل الأنواع) بعد أن سطر نتيجة بحوثه وانتهى إلى الزعم بأن هناك قانونًا يحكم وجود الأشياء وهو قانون التطور، فقال متشككا فيما انتهى إليه: " ومع ذلك فإن هذه النتيجة، إن أبدتها البراهين القيمة، فلا جرم تلبث غير كافية لإقامة الدليل القطعي التام، ما لم يبني الباحث كيف تحوَّلت صفاتُ الأنواعِ التي تأهلُ بها الأرض، على إيغالها في الكثرة، حتى أحرزت كمال تكوينها وتكيفها الطبيعي، [23]، فليس هناك أساس علمي تستند عليه نظرية التطور التي اعتمدها

([23]) أصل الأنواع: تشارلز داروين، ترجمة إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، 2018م، ص 119.

الفكر الإلحادي ليفسر بها التطور تفسيرًا فيزيائيا ماديًا بعيدًا عن قدرة الإله الخالق العظيم

– إنّ دعوى التطور والنشوء الذاتي بين الكائنات المختلفة تخالف أهم القوانين البايلوجية، لأنّ علم الجينات والكرموزونات لم يكن مكتشفا أثناء كتابة داروين نظريته عن أصل الأنواع، فجاء علم الجينات والمايكروبولوجي والكيمياء الحيوية فهدمت كل أسس الفكر التطوري عند داروين[24]، لقد حطم (غريغور مندل ت 1884م) مؤسس علم الوراثة الحديث أسس نظرية التطور الداروينية، وأثبت من خلال علم الوراثة أنَّ الصفات المكتسبة لا تورث الى الأجيال التالية؛ بل الصفات الثابتة في الجينات فقط، وبذلك أثبت علم الوراثة خطأ نظرية التطور والانتخاب الطبيعي لداروين [25]

([24]) راجع مقال صباح إبراهيم، علم الوراثة يدحض نظرية التطور، الحوار المتمدن-العدد: 4438 - 2014 / 4 / https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=412606.29

([25]) راجع: مقال صباح إبراهيم، علم الوراثة يدحض نظرية التطور، الحوار المتمدن-العدد: 4438 - 2014 / 4 / 29

– إنّ وجود القدرة للكائنات الحية على التكيف مع الظروف التي تحيط بها؛ يرجع إلى قوة مدبرة رحيمة هي قوة الله تعالى وقدرته ورحمته، فإنَّ تلك القدرة على التكيف إنما هي رحمة من الله تعالى لبقاء ذلك الكائن حيًا منتفعًا بذلك التكيف على مقاومة انقراضه إلى الوقت الذي يشاء له موجد تلك القدرة، فأي دليل للملاحدة في هذا على عدم وجود الله تعالى الخالق لهذه الكائنات والموجد لها، قال تعالى: **(أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)** (الحج: 46) فمن الحماقة والتناقض في الرأي أن يسلم الإنسان بفكرة التطور، ويرفض أن يسلّم بحقيقة وجود الخالق الذي أوجد هذا التطور [26]

([26]) راجع: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين ، ص36.

فالعمليات والظواهر التي تهتم العلوم بدراستها ليست إلا مظاهر وآيات بينات على وجود الخالق المبدع لهذا الكون ، وليس التطور إلا مرحلة من مراحل الخلق[27]

-نظرية التطور كانت من الأسس الواهية التي تبناها الفكر الإلحادي مع أنها غير ثابتة علمياً، وطوعها لخدمة إنكار الخالق هروبًا من أوضح الحقائق وهي الإيمان بالله الخالق العظيم، وقد اعترف بذلك (سير آرثر كيث) فقال: " وإنّ نظرية النشوء والارتقاء غير ثابتة علميًا ولا سبيل إلى إثباتها بالبرهان، ونحن لا نؤمن بها إلا لأنَّ الخيار الوحيد بعد ذلك هو الإيمان بالخلق الخاص المباشر وهذا ما لا يمكن حتى التفكير به"[28] .

([27]) راجع: السابق ، ص36.

([28]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص 36، صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص113-114.

فنظرية الارتقاء كما يعترف أنصارها هي بديل عن الإيمان، وهروب من الحقيقة العلمية، [29]، فليست ثابتة علميًا عند المدافعين عنها أيضا، إلا أن عدم استنادهم إليها يؤدي إلى التسليم بالإيمان بالخالق العظيم، وهو الأمر الذي لا يقر به الملحد بل يعاند الحقائق العلمية ، والثوابت الإيمانية.

وهذا يؤكد فساد استدلال الملحد بنظرية التطور وتهاوي أي مستند لإنكار الخالق الحكيم

المطلب الثاني: شبهة وجود الشرور

أولاً: حقيقة شبهة الشر:

تعدّ هذه الشبهة من أكثر الشبهات إثارة عند الملحدين، وهي مادة الاعتراض الأولى في السجالات بين المؤلهين وغيرهم، وقد صرح الفيلسوف الأمريكي (ميكل تولي Michael tooley) أن الحجة

([29]) راجع: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى ، ص 45.

المركزية للإلحاد هي حجة الشرّ، وقال (مايكل روسMichael ruse) أنه لا يرفض الإيمان إلا لسبب واحد وهو مشكلة الشر، لذلك أطلق عليها وصف صخرة الإلحاد، والسؤال الإلحادي الأول[30].

وتقوم على افتراض تعارض بين صفتي القدرة والرحمة، فالإله إما أنَّه قادر وفاعل؛ ومعنى ذلك أنه يرضى بوقوع الشرور والآلام ، وبذلك تنتفي عنه صفة الرحمة، وإما أنه يتصف بالرحمة فلا يرضى بوقوع الشر والألم؛ وبذلك تنتفي عنه صفة القدرة على منع تلك الشرور وإزالتها عن البشر، وهذه الشبهة تسمى معضلة أبيقور[31] ، وقد روجها الملاحدة ولا تكاد تتناولها الدراسات الإسلامية الخالصة إلا نادرًا وكثير من المروجين لها أو المفتونين بها قد استجلبوها من المكتبة الغربية

([30]) راجع: د.سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله ، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية 2016، ص 18.

([31]) فيلسوف يوناني، (340ق.م - 270 ق.م) ازدهر أبيقور بعد فترةٍ طويلةٍ من وفاة الفيلسوف أرسطو، حيث أسس مدرسةً فلسفية في منزله وحديقته في أثينا، وكرس نفسه لتحقيق السعادة من خلال المنطق والمبادئ العقلانية، فهو يؤمن أنّ المتعة جيدة والألم غير جيد، كما يرى أن المتعة والألم من المقاييس النهائية والمهمة للخير والشر، وكثيراً ما تعرض لسوء الفهم وأنّه يدعو إلى المتعة المفرطة إلّا أنّه حذر كثيراً من تجاوز الحدّ والإفراط في ذلك؛ لأنّ الإفراط في غالبية الأوقات يؤدي إلى الشعور بالألم

وروجوا لها على أنها نهاية الفكر الفلسفي الغربي، مع أن الفكر الغربي نفسه قاومها وأصابها في مقتل[32].

وعدم القدرة على الجمع بين القدرة والرحمة في صفات الإله دفع الملحد لإنكار وجوده، واعتبر الملحد أن الإنسان يستطيع أن يكون سعيدًا بدون إيمان بإله، قال ريتشارد دوكنز: "إنّ الالحاد هو تطلع واقعي وشجاع ورائع. من الممكن أن تكون ملحدًا سعيدًا , متوازنًا ومقتنعاً فكريًا ومعنويًا بشكل كامل"[33]

([32]) راجع: د.سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله ، 49[32] ; Bkz. Mustafa Ünverdi, "Mu'tezile'de Kötülük Problemi", 1. Uluslararası Mersin Sempozyumu, Mersin 2018, 380.

([33]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، 2009، نسخة تجريبية، وكتب مع العنوان: الكتاب الذي غير حياة الملايين من البشر وسيغير حياتك إلى الأبد، ص 4.

قال أنتوني فلو: إنّ موضوع وجود الشرور في العالم من أسباب تحولي المبكر للإلحاد[34] وقال : "مشكلة الشر كانت بالنسبة لي دحضًا حاسمًا لوجود إله كامل الخير وكامل القدرة" (35).

فوجود الشر –حسب الشبهة– يتنافى مع أن يكون هذا الرب عليما لأن علمه يقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه رحيم؛ لأن رحمته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، ويتنافى مع أنه قدير؛ لأن قدرته تقتضي أن يمنع هذا الشر من الوجود، لذلك فإن وجود الشر ينفي وجود الإله [36]

ثانياً: الهروب من الدين إلى الطبيعة والإلحاد: حقيقة شبهة الشر هي هروب من عالم الإيمان إلى عالم الإلحاد، لأن الدين

([34]) أنتوني فلو: هناك إله، ترجمة الدكتور صلاح الفضلي، مراجعة وتعليق الدكتور الشيخ مرتضى فرج، الطبعة الثانية 1438م، ص 19–22.

([35]) أنتوني فلو: هناك إله، 59.

([36]) د.سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله ، تكوين للدراسات والأبحاث، الطبعة الثانية 2016، ص21–22.

بزعمهم هو مصدر الشرّ والحروب، لذلك نرى (دوكنز) أحد أعلام الملاحدة المعاصرين يدعو إلى إلى تخيل عالم بلا دين، ونسب كل الشرور إلى الدّين – مع أنه اعترف بداية كلامه بأنه لا شيء هو أصل كل شيء آخر، فقال: تخيل عالمًا بدون دين لا انتحاريين لاحملات صليبية، لا مؤامرة بارود، لاتقسيم للهند، لا حرب فلسطينية إسرائيلية، لا مذابح صرب– كروات– إسلام، لا اضطهاد لليهود كونهم "قتلة المسيح" ، لامشاكل في شمال إيرلندا، "لا جرائم شرف"، لا إنجيلي بهندام لامع على التلفزيون الأمريكي يجز أموال السذج، تخيل أنه لاوجود لطالبان ليفجروا تماثيل أثرية ، لا قطع للرؤوس بشكل علني ولا سوط على جلد أنثى لأن أحدا رأى بوصة منه[37].

ومن هنا يزين الملحد صورة الإلحاد بأنه هروب من وجه هذا الإله المتصف بتلك الصفات إلى إله آخر له كل صفات الإله الأول،

([37]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، 2009، نسخة تجريبية، ص 4.

إلا أنه لا يعترف بالكنيسة ولا يبارك ظلم طغاتها ولا يلزم الناس تجاهه بأي التزام وعباده أحرار فيما يصنعون بأنفسهم لا سلطان لأحد عليهم إلا الهوى والشهوات، لقد استراح من أراد الهرب من إله الكنيسة إلى الإله الجديد المسمى " الطبيعة " مادام بينهما هذا الفارق الكبير في السلوك وتفنن بعد ذلك هؤلاء الهاربون في إضفاء الصفات على هذا الإله الذي تخيلوه وأحبوه وسموه الطبيعة.

ولكنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أنه إله وهمي متخيل لا حقيقة له إلا من خلال أنه ملاذ وجداني أرحم من إله الكنيسة، حتى وإن كان غيبيا وكانوا كلما وقفوا على شيء يدل على الإله العظيم رب العالمين سارعوا إلى تفسيره لصالح هذا الإله المتخيل مخافة أن يقعوا مرة أخرى في قبضة رجال الكنيسة، أو الإله الشرير حسب زعمهم، وصدق عليهم قول الله تعالى :**(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)** (النمل:14)

إن الملاحدة هربوا عن اسم الله والاعتراف به إلى اسم آخر أعطوه القدرة نفسها وصفات الإله الحقيقي دون أي مبرر إلا الهرب من إله الكنيسة دون أن يرجعوا إلى عقولهم وإلى سؤال أنفسهم بصراحة وصدق هل هذا الإله الذي جعلته الكنيسة ستارا لطغيانها هو فعلا الإله الحقيقي أم أنه إله مخترع وورقة رابحة في أيدي الطغاة، إنهم لو طلبوا الحقيقة سيجدونها واضحة صريحة وسيجدونها في مكان لا تقل كراهتهم له عن كراهيتهم للكنيسة إنه الإسلام الذي سيبين لهم، لو أرادوا، الحق الصحيح الإله الحقيقي الرحيم العادل بين عباده

ثالثاً: علاقة الشبهة بوجود الخالق

هذه الشبهة من الشبهات التي يثيرها الملاحدة رغم أنه لا علاقة مباشرة لها بالإلحاد الذي يقوم على إنكار وجود الخالق، فإذا أثبتنا وجود الخالق بالأدلة العقلية والعلمية والفطرية، فكيف يمكن للملحد أن ينفي هذه الأدلة لمجرد شبهة تدور حول صفات الخالق نفسه؟ بل إن

الشبهة تقوم أصلا على افتراض وجود الخالق، إذ لا يمكن مناقشة الصفات دون افتراض وجود الذات الموصوفة، وعلى ذلك فإن توظيف الملحد لهذه الشبهة يهدف أصلا إلى الطعن بعقيدة المؤمنين والتشكيك بصفات الإله، وزعزعة يقينه، فهي ليست لإثبات صحة الإلحاد، بل للتشكيك في الإيمان، ويغلب الاستشهاد بهذه الشبهة عند أولئك الملحدين إلحادًا نفسيًا، فهي شبهة تحرك المشاعر أكثر مما تجول في العقول.

رابعاً: أين حلُّ مشكلة الشرِّ في الفكر الإلحادي:

من باب الحوار والإلزام بعجز الملحد عن تقديم بديل عن الإيمان وإجابات المؤمنين حول الشر والحروب والمصائب أن نسأل الملحد، هل وجد حلاً لهذه المشكلة بعد أن صار ملحدا؟

ولتوضيح السؤال نذكر مثالاً عن القائد الشيوعي(ستالين) الذي قتل ملايين البشر ثم مات(1953م) ولم ينل عقابه، فهل يوجد في

الإلحاد حلٌّ لهذه المشكلة؟ هل هناك حلٌّ في الإلحاد لمشكلة قتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ في سوريا وفلسطين واليمن وغيرها من بلاد العالم ؟ فما هو الحلُّ الذي وجده الملحد في الإلحاد لهذه المعضلة ما دام يردّ الدين لأجلها! فإن كان يرد الدين؛ لأنه لم يعرف جواب الدين عنها ثم يجدها في الإلحاد أعظم كثيرا؛ فإن الأجدر به أن يتهم الإلحاد قبل أن يتهم الدّين.

المفارقة هنا هي أن معضلة الشر قائمة عند الملحد بصورة حقيقية، ولن يجد لها حلا ما دام ملحدًا، بينما هي غير موجودة عند المسلم إطلاقًا كما سنرى، ومع هذا فالملحد هو الذي يوجه هذه الشبهة للمسلم، رغم أن العكس هو المفروض

إنّ من مآسي الإنسان الغربي المعاصر اختزاله غاية الحياة في تحقيق السعادة الآنية وليس مع هذه الغاية أو وراءها غاية أخرى، ولذلك فالحياة من أجل السعادة بمعناها الأرضي البشري تضج من كل

مرض أو وجع أو ألم، فليس للشر والمعاناة معنى في سياق هذه الحياة غير التنغيص على سير الإنسان حثيثًا نحو متعة صافية من الكدر، ولذلك فالشر ليس إلا عنوانًا لهدم حقيقة الحياة، ولما كان الشر من أقدار الدنيا التي لا فكاك عنها ولا مهرب منها، كانت الحياة عبئا لا معنى يحتضنه؛ ولذلك يمثل الدّين الذي يبشر ضمن منظومته بدار الجزاء وسيلة لإكساب الحياة حلة من المعاني التي تعين على تحمل آلام الوجود وأثقاله وترتفع بأشواق الإنسان إلى سوامق مدهشة[38].

لا يمكن للملحد أن يستدل بالشر الموجود في العالم لنفي وجود الله حتى يقرّ بوجود الخير والشر، ولا سبيل للإقرار بوجود قيمتي الخير والشر حتى يقرّ الملحد بوجود المعيار الموضوعي ووجود المعيار الموضوعي الأخلاقي غير ممكن دون وجود مشرع أخلاقي غير مادي، وهذا المشرع هو الله الذي تسعى الحجة الأخلاقية

([38]) د.سامي عامري: مشكلة الشر ووجود الله ، ص30.

المعتمدة على الشر لنفيه، فلا سبيل لاعتماد حجة الشر لإثبات الإلحاد حتى ينقض الإلحاد بإثبات وجود الله، فغاية الملحد ووسيلته تتنافيان [39]

خامساً: تفكيك الشبهة والبعد الأخروي

تقوم الشبهة في أساسها على أنَّ وجود الشر ينافي صفة العدل الإلهي، وهذا هو الطرح الحقيقي للشبهة، فعدم وجود الرحمة لا ينفي وجود العدل، ولكن وجود الظلم ينفي صفة الرحمة، ولا تكتمل الرحمة إلا بتحقق العدل.

وهذه الشبهة لا تقوم إطلاقا مع التصور الإسلامي، وإذا انتفى التناقض بين صفتي العدل والقدرة في التصور الإسلامي فقد انتفت الشبهة تماما، وسوف أضرب مثالا لذلك:

([39]) راجع: السابق ، ص62-63.

طفل صغير يصاب بالسرطان فيتعذب ويتألم ثم يموت، بينما طفل آخر يولد صحيحًا معافى في أسرة غنية ويعيش حياته طولاً وعرضًا يتقلب في النعيم، ورغم أنَّ كثيرًا من أمراض الأطفال يكون سببها إهمال الأم في صحتها وصحة جنينها، ولكن ألا يبدو في هذا شيء من الظلم للطفل الذي مرض وتعذب ومات؟

هذا ما يبدو بالفعل إذا تناولنا الشبهة بعيدًا عن التصور الإسلامي، ولكن إذا أراد الملحدُ أن يطرح هذه الشبهة أمام المسلمين فإنَّ عليه أن يحاكمهم إلى دينهم وعقيدتهم وتصورهم وليس إلى معياره هو، وسوف نرى النتيجة عندما ننظر إلى هذه الشبهة في ضوء عقيدة المسلم.

فأصول الإيمان في الإسلام ستة: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فلا يصح الإسلام دون الإيمان باليوم الآخر.

وعندما نتحدث عن المعاملات الدنيوية بين الناس فإنّ الظلم يقع، ولكنه ظلم بين البشر، ينتهي القصاص منه في المحاكم حين يُقتص للمظلوم من الظالم، فالبشر مجال عملهم ومعاملاتهم هو هذه الدنيا. ولكن عندما نتحدث عن الظلم الدائم من الناحية الوجودية فهو غير موجود، وإذا لم يقتص المظلوم من الظالم في هذه الحياة فإن الله جعل الآخرة هي دار الحساب الذي يتحقق فيه العدل المطلق وينتهي فيه الظلم.

أمّا من ناحية المصائب والبلاء الذي ينزل بالمسلم قدرًا دون أن تدخل فيه إرادة البشر فهو ليس ظلمًا، وقد أشارت النصوص إلى ذلك بوضوح، فإما أن تكون عاقبته ثوابًا من عند الله: **(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ)** (النساء: 104)، وإما أن يكون رفعة في الدرجات للصابرين المحتسبين: **(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** (الزمر: 10)، وإما أن يكون

تكفيرا للذنوب: "ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها" [40]

فكل ما يسلب من المسلم الراضي في هذه الدنيا من النعم المؤقتة الفانية يأتيه العوض عنه في الدار الباقية، وقد وصف الله تعالى يوم الحساب بقوله **(لا ظلم اليوم)** (غافر 17)، وهذا العدل بالطبع شامل لكل المخلوقات.

وعلى ذلك فإنَّ الطفلَ الذي أصيب بالمرض المميت وتعذبَ خمس سنوات ثم مات سينعم عوضًا عن ذلك بنعيم لا يقاسُ بشيء، وإنما هي حياة نعيم لا نهاية لها ولا حصر لملذاتها.

ولكي تكون الصورة أوضح، لنتأمل هذا الحديث الذي ورد في صحيح مسلم: "يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغةً، ثم يقال: يا ابن آدم هل رأيت خيراً قط؟ هل

([40]) (رواه البخاري.)

مر بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب، ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ صبغةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط؟ هل مر بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا، والله ما مر بي بؤسٌ قط، ولا رأيت شدةً قط." [41] وفي حديث آخر يقول صلى الله عليه وسلم: "يَوَدُّ أَهلُ العَافِيَةِ يَومَ القِيَامَةِ حِينَ يُعطَى أَهلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَو أَنَّ جُلُودَهُم كَانَت قُرِّضَت فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ." [42] ولهذا فإن المسلم لا إشكال عنده من هذا الجانب الذي يقوم على تحقق العدل المطلق.

فالأمر هنا يتجاوز العدل المطلق إلى الرحمة المطلقة وإن بدت للملحد الذي لا يؤمن بالحساب وكأنها نوع من الظلم. وعلى ذلك قس كل ما تراه من مظاهر الآلام والكوارث والمصائب في هذه الحياة الدنيا.

([41]) رواه مسلم في باب الزهد، من حديث أنس.

([42]) سنن الترمذي، رقم الحديث 2402.

وهذا التصور يتردد كثيرا في النصوص الشرعية حتى لا يقع المسلم تحت طائلة الشك، فيقول الله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)** (الحج: 11)

بل إن الخير الدنيوي الذي نراه خيرا قد يكون في حقيقته فتنة وشرًا، وهذا يتوافق مع التصور الإسلامي للحياة الدنيا وعدم كمالها.. فقد ينعم الله على امرئ فيفسق ويبطر ويتجبر ولا يشكر المنعم، ويكون هذا الخير الظاهري فتنة، قال تعالى: **(كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)** (الأنبياء 35)

وهكذا نرى أنَّ الموقف واضح تماما أمام المسلم.. فإذا كان من صفات الخالق العدل المطلق والرحمة المطلقة، وإذا كان العدل المطلق متحقق يوم الحساب، ويوم الحساب لم يأت بعد، فإن إثبات الظلم

منتفٍ تماما، ويصبح من العبث ما يقوم به الملحد من إثارة هذه الشبهة.

المبحث الثالث: الشبهة العلمية في الإلحاد المعاصر

دراسة تحليلية نقدية[43]

المطلب الأول: حقيقة الإلحاد وظروف انتشاره

أولاً: مفهوم الإلحاد، ومراحل تطوره:

إنَّ كلمةَ إلحاد لها دلالاتٌ لغوية كثيرة، منها: الانحراف والميل، جاء في تاج العروس: وأصلُ الإلحاد الميل والعدول عن الشيء[44]، إلا أنَّ هذه الكلمة اشتهرت في المجال العقدي والفلسفي الحديث كمقابل عربي لتلك اللفظة الأجنبية(Atheism) لتكون تعبيرًا

(43) هذا القسم من البحث نشر في مجلة ريحان، بعنوان (الشبهة العلمية في الإلحاد المعاصر دراسة تحليلية نقدية) في العدد 39، من ص 218 إلى 245، تاريخ 2023/0/28.

(44) تاج العروس ، مرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، باب لحد، 135/9.

اصطلاحيًا عن فكرة إنكار وجود الله تعالى، وليكون هذا المعنى هو الذي يتبادر بمجرد لفظ الكلمة، وبذلك يتراجع استعمال اللفظ –تعبيرًا عن الانحرافات العقدية الأخرى التي كان يشملها– وتخرج من عباءته[45]، جاء في الموسوعة الفلسفية: الإلحاد: مذهبُ مَن ينكرون الألوهية، والملحد غيرُ مؤلّه[46]، وفي موسوعة لالاند الفلسفية: الإلحاد عقيدة قوامها إنكارُ وجود الله [47].

وقد عُرف أهل الإلحادِ قديماً بالدهرية أو القائلين بتعطيل العالم عن الصانع، وهي المقالة التي نسبها الشهرستاني لشرذمة قليلة فقال: أمّا تعطيلُ العالَمِ عن الصانع العالم القادر الحكيم فلستُ أراها مقالة لأحد، ولا أعرفُ عليه صاحب مقالة إلَّا ما نقل عن شرذمة قليلة من

(45) مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، الطبعة الأولى 2014 ، ص11.

(46) مجمع اللغة العربية في القاهرة: الموسوعة الفلسفية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بمصر، 1983م، ص 20.

(47) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، 1996م، 107/1.

الدهرية ... فما عددتُ هذه المسألة من النظريات الّتي يقامُ عليها برهان، فإنَّ الفطرَ السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبدهية فكرتها على صانع حكيم عالم قدير.." [48]

وأكد ابن تيمية أنه لا تُعرف طائفة بذلك القول وهو إنكار الصانع، لأنَّ إنكار الصانع هو إنكار للعلوم الضرورية، ومن أظهر الأمور امتناعًا، فقال: "بل النَّاسُ متفقون على إِثْبَاتِ وجود واجبٍ، اللهُمَّ إِلَّا مَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ النَّاسِ، قال: إِنَّ هَذَا العالم حَدَثَ بِنَفْسِهِ، وَكثير مِنَ النَّاسِ يَقُولُون: إِنَّ هَذَا لَمْ تَقلهُ طائفة معروفة، وَإِنَّمَا يُقَدَّرُ تقديرا كَمَا تُقَدَّرُ الشُّبَهُ السوفسطائية لِيُبْحَثَ عنها" ثم قال:"... فإنّ ظهور فساده أَبْيَنُ من أَنْ يحتاج إلى دليل، إِذْ حُدُوثُ الْحَوَادِثِ بِلَا

([48]) الشهرستاني: نهاية الإقدام، طبعة ألفرد جيوم، الناشر مكتبة المتنبي القاهرة – مصر، ص 123 – 124.

مُحْدِث مِنْ أَظهرِ الْأُمُورِ امْتِنَاعًا، والعلم بذلك مِنْ أَبْيَنِ العلوم الضرورية"[49].

فما تقدَّم لا ينفي وجود طائفة أو أشخاص من الملحدين المنكرين لوجود الصانع؛ بل يشير إلى ضآلة الفكر الإلحادي وعدم انتشاره أو ظهوره في طوائف معروفة تدافع عنه وتتبنى مزاعمه، لكن الأمر تطوَّر تطورًا خطيرًا في مراحل تاريخية متأخرة حتى أصبح له –في تاريخنا المعاصر– آراء وجماعات ومراكز ومنتديات تدافع عنه، واهتمَّ أنصاره بنشره من خلال الكتب والإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي

أمّا عن نسبة وجود الملحدين فليس هناك إحصائية دقيقة متفق عليها؛ لاختلاف ظروف انتشاره وتداخل معانيه مع فرق ومذاهب لجماعات من المشككين أو اللادينيين، وتفاوت انتشاره بين بلد وآخر، وفترة وغيرها، غير أنَّ بعض مراكز الإحصاء تؤكد أنَّ نسبة الملحدين

([49]) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ – 1986 م، 296/3.

تتفاوت بين 2% إلى 5% في العالم، بينما ترتفع في بعض البلاد الغربية والأوربية لتصل إلى أكثر من 20% ، وفي أمريكا تمَّ تقديرها في عام 2010 بـ 9% [50].

فالإلحاد –إذن– لم يعد الحالة الاستثنائية أو الخفية التي تقبع في زوايا المجتمع، أو تقتنع بأفكارها وقناعاتها دون تصديرها للناس، وبث الشكوك؛ بل ارتفع صوته وله أنصار من الفلاسفة والعلماء الغربيين، وهناك فلسفات مادية ووضعية تبنت الفكر الإلحادي زاعمة أنه صديق العلم والحضارة، كما باتَ الملاحدةُ يعرّفون أنفسهم بأنهم الذين يتبنون المفاهيم العلمية ويرفضون المفاهيم الغيبية [51]؛

([50]) مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، الطبعة الأولى 2014 ، ص11.

([51]) الدكتور عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية، ص45.

ويتفاخرون بأنّ نسبتهم تزيد بين النخب المثقفة كما عبّر عن ذلك (ريتشارد دوكنز)[52]

وخطورة الأمر أنَّ هناك من يحاولُ أن يجعلَ منه ظاهرة تفرض نفسها على المجتمعات؛ مع أنه لم يكن عبر التاريخ القديم والمعاصر ظاهرة حقيقية، ولم يكن ارتفاع صوته–في التاريخ المعاصر– لقوة حجته أو ظهور مؤيدات علمية لفكره؛ بل هو ظاهرة صوتية أسهمت أسباب كثيرة في طرحه والترويج له أو تزيينه، ويشترك في ذلك الإعلام وبعض المؤسسات والشخصيات والمراكز والمنتديات الإلحادية التي تبنت الفكر الإلحادي، وأرادت التشويش على المؤمنين وبث الشكوك والضوضاء بينهم بعد أن عجزت عن فرضه كظاهرة في المجتمعات الإنسانية، وقد عبّر عن تلك الخيبة بأسلوب ساخر(ريتشارد دوكنز) كبير الملاحدة الجدد، فقال في كتابه(وهم الإله): "وبرغم أننا لا

([52]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، 2009، نسخة تجريبية، ص 5.

نستطيع تنظيم قطيع من القطط، ولكن وجود عدد كاف منهم سيؤدي لضجة كافية ولن يكون من الممكن إهمالهم"[53] فمنهج الملحدِ منهج الصراخ والضوضاء في مواجهة المؤمنين بالله تعالى

والإلحادُ عبرَ التاريخ لم يحظَ باهتمام كبير، ولم يشكل نسبة كبيرة- مع التأكيد على خطورته- وذلك لمخالفته للضرورات العقلية، وكونه مصادمًا للفطرة البشرية، ومباينًا للمناهج العلمية، وشأنه كشأن غيره من المذاهب التي اندثرت أو الأفكار الشاذة التي يعلو صوت أصحابها في المجتمعات الإنسانية، ثم ما تلبث أن تخبو وتزول أمام البراهين العلمية والمناقشات الفكرية التي تنتهي ببيان ضعفها ومخالفتها للعقل والفكر فضلاً عن الوحي الإلهي وما جاء به الأنبياء، وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم

([53]) ريتشارد دوكنز: وهم الإله، ص 6.

فمن دواعي تحصين المسلم، والهداية للمشككين، والدعوة والمجادلة بالتي هي أحسن مع المخالفين، أن يتم ردّ كل زيف أو انحراف، وإبطال كل ما يستند إليه الفكر الإلحادي، والتنبيه على الآراء الشاذة التي تتنشر في المجتمعات، وكشف كل تزييف للحقائق الإيمانية الكبرى، أو تزيين للفكر الإلحادي، سواء تبنى ذلك الانحراف شخص أو فرقة أو مؤسسة أو مراكز علمية، وهذا منهج قرآني في عرض شبهات المخالفين من أهل الأديان والمذاهب الباطلة، والرد عليها، بل إن القرآن الكريم لم يتهيب التحدث عن الإلحادِ والملحدين(الدهرية) مع أنَّ القائلين به عدد قليل، فضلاً عن شبهات أهل الكفر والشرك والضلال، قال تعالى: **{وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ }**[الجاثية:24] ، وهذا يحفز الدعاة والعلماء للقيام بدورهم دفاعًا عن الإيمان والفطرة السليمة، وتقديرًا للعلم ومناهجه وأدلته التي تقدم كل يوم شواهد وبراهين على صدق عقيدة الإيمان بالله تعالى وكمال صفاته وعظيم تدبيره.

فمواجهة الفكر الإلحادي – الذي يمتد في فراغ انشغالنا عن شبهاته ومزاعمه– يعدّ نوعًا من أنواع الجهاد العلمي، وانتصاراً لأصل الحقائق الإيمانية وهي الإيمان بالله تعالى، فالإيمان بالله تعالى وصفاته هي من أهم العقائد؛ بل هي أصلها وأساسها، و"كبريات قضايا الإيمان أسانيدها عقلية علمية وأنَّ طريقة القرآن الكريم في إثباتها تعتمد على لفت نظر الناس إلى هذه الأسانيد والأدلة العقلية العلمية، وعلى تكليف الرسل وأهل العلم من المؤمنين مناقشة المخالفين ومناظرتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن على هذا الأساس العقلي العلمي، لا على إيراد نصوص منزلة لا يؤمن المخاطبون بها" [54]

([54]) الدكتور عبد الرحمن حبنكه، براهين وأدلة إيمانية ، دار القلم– دمشق، الطبعة الأولى 1987 ، ص 12–13.

ثانياً: ظهور الفكر الإلحادي المعاصر:

لم يشهد تاريخ البشرية مدًا إلحاديًا عارمًا كالذي شهده في ظل الحضارة المادية المعاصرة، كما لم تعرفْ بلادنا الإلحاد بشكل صريح إلا في العقود الأخيرة، وقد شهدت البلاد العربية والإسلامية مدًا إلحاديًا وتشكيكياً بعد ما أطلق عليه ثورات الربيع العربي، بالإضافة إلى ما تشهده البلاد العربية والإسلامية من ظروف واضطرابات سياسية واقتصادية واجتماعية [55].

وهذا يتطلب أن تكونَ هناك دراسات تكشف أسباب هذا الانتشار، وتعرّي الشبهات التي يقوم عليها في مقابلة الفطرة والعقل والعلم، فالمصاولةُ مع الإلحادِ تقوم على تحميل أصحاب العقول مسؤولية استخدام العقل الذي نتفق جميعًا على وجوده، ومسؤولية تحكيم

([55]) الدكتور عمرو شريف: خرافة الإلحاد، مكتبة الشروق الدولية –القاهرة، الطبعة الأولى 2014، ص 9.

الموازين العلمية في الإيمان بالحقائق الكبرى، التي على رأسها وفي مقدمتها الإيمان بالوجود الإلهي.

إنَّ كثيرًا من مزاعم الإلحادِ المعاصرِ تتفاخر بالعلم والإنجازات الحضارية؛ وكأنَّ الفكر الإلحادي منطقي علمي في مواجهة الإيمان والفطرة والغيب، وهذه أخطر شبهة معاصرة يحاول أن يتبناها الملحدون ولها جذور مرتبطة بعلاقة الكتاب المقدس بالعلم والإنجازات العلمية، ويحتاج توضيح ذلك شيئًا من التفصيل

لو عُدنا إلى خمسمائة سنة مضت نلحظ أنَّ المصدرَ الأساس للمعرفة في أوربا هو الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، كما تبنَّى رجال الكنيسة الكاثوليكية آراء أرسطو وبطليموس العلمية حول الكون وكوكب الأرض والفيزياء والكيمياء والتاريخ الطبيعي وألحقوها

بمفاهيمهم المقدسة[56]، وبناء على هذه المصادر كوّن إنسانُ العصورِ الوسطى في أوربا صورة عن العالم والحياة، يمكن أن نضع أبرز معالمها:

– خلق الإله العالم سنة 4004 ق.م واستنتج الكهنة هذا التاريخ من جمع أعمار الأجيال المتتابعة من أبناء آدم كما جاءت في سفر التكوين

– سوف تكون نهاية العالم في تاريخ ليس ببعيد، عام 4004 م ؛ وذلك لكي تتوسط حياة المسيح تاريخ العالم

– تقف الأرض ثابتة في مركز الكون وتدور الشمس والقمر وبقية الكواكب حولها في دوائر

([56]) راجع: روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 118، رافي زكرارياس: الوجه الحقيقي للإلحاد ، ترجمة ماريانا كتكوت، رؤية للطباعة، ص 24 وبطليموس: رياضي وعالم فلك يوناني توفي حوالي 170 م، كان يرى مثل أرسطو أنَّ الأرض ثابتة وأنَّ الكواكب تدور حولها..على عكس ما أثبته العلم بعد ذلك.

– خلقَ الإله العالمَ في لحظة ما في الماضي تمامًا كما يبني البشر المنازل، والفرق الوحيد هو أنَّ الناس تصنع ما تصنع من مواد موجودة

– الأشياء المقززة كالحشرات والثعابين والقاذورات هي عقاب للإنسان على خطيئته الأصلية حين عصى آدم ربَّه وأكل من الشجرة

– يمثل العالم نظامًا أخلاقيًا، فالقيم الأخلاقية مطلقة يحددها الإله وليست نسبية تعتمد على رغبات البشر ومصالحهم ومشاعرهم، ويقف وراء كل ذلك إله خالق له أفكار وتصورات وانفعالات وعواطف .

– رجال الكنيسة هم الواسطة بين الإله وبين الناس في قبول التوبة والحصول على الغفران

هذه أهم الأفكار والاعتقادات السائدة لقرون طويلة، حتى باتت مسلّمةً لا يمكن لأحد أن ينتقدها أو يقلل من قدسيتها أو يشكّك في صدقها.

إلا أنَّ الأمر لم يبقَ على ذلك بعد أن ظهر كتاب(في دوران الأفلاك) لكوبرنيكوس (ت1543م) [57]، فكان علامة على بداية العصر الحديث ونهاية العصور الوسطى، وعدّ ذلك طامة كبرى من وجهة نظر الكنيسة؛ حيثُ أعلن كوبرنيكوس بحساباته الرياضية، ومن بعده جاليلو بتلسكوبه أنَّ الأرض ليست مركز الكون[58]، بل هي مجرد كوكب تابع يدور حول الشمس، فدفعا ثمنًا غاليًا لشجاعتهما؛ إذ

([57]) كوبرنيكوس نيقولاس: فلكي بولندي يعتبر مؤسس علم الفلك الحديث، طرح في كتابه المسمى: في دوران الأجرام السماوية، نظرية جديدة تقول إن الأرض والكواكب السيارة الأخرى تدور حول الشمس وحول نفسها، فخالف بذلك النظريات والمفاهيم الفلكية المتوارثة منذ عصر بطليموس والقائلة بأن الأرض هي مركز الكون الثابت، وقد أدانت الكنيسة الكاثوليكية نظرية كوبرنيكوس باعتبارها مخالفة لنصوص الكتاب المقدس.

([58]) غاليلو غاليلي فلكي ورياضي وفيزيائي إيطالي، يعتبر واضع أسس العلم الحديث، أحرز عددًا من الاكتشافات الهامة وكان أول من صنع تلسكوب فلكي، وقد أيد نظام كوبرنيكوس بدلا من نظام بطليموس مما أثار حفيظة الكنيسة فحاكمته واضطرته إلى التراجع عن رأيه وقد أمضى بقية حياته معتقلا في منزله لتفادي عمليات التعذيب (ت 1642م)راجع : د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى 2004م، ص 103 .

تبنت الكنيسة حملة شعواء لاضطهاد العلماء وتعذيبهم باعتبارهم من السحرة والمشعوذين وأهل الهرطقة[59]، وتمَّ حرق (جيوردانو برونو) حيًا عام 1600 م، بتهمة الهرطقة؛ لأنه تجرّأ ووصف الكون بأنه لا نهائي، وأنَّ هناك أشكالاً من الحياة خارج الكرة الأرضية وهو يمثل الكفر في رأي الكنيسة التي أصرّت على أنَّ الأرض منبسطة، كما تمَّ قطع لسان الفيلسوف الإيطالي(لوتشيلو فانيني)، ومن ثم حرقه حيًا سنة 1619م [60]، وتمّ إنشاء محاكم ومحارق لملاحقة كل من يتبنى رأيًا علميًا يخالف اعتقادات الكنيسة، وكثير من العلماء والفلاسفة قُتلوا أو حرقوا أو سجنوا وعذبوا،.

كذلك كان اكتشاف الميكروسكوب عام 1595م صدمة كبيرة؛ إذ مكَّن العلماء لأولِ مرةٍ من رؤية الجراثيم التي ثبت أنها المسؤولة عن

(59) ديفيد بيرلنسكي: وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية، ترجمة عبد الله الشهري، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الأولى 1437هـ، ص 253.

([60]) راجع : د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى 2004م، ص 97 –102، الدكتور عمرو شريف: خرافة الإلحاد، مكتبة الشروق الدولية –القاهرة، الطبعة الأولى 2014، ص 21.

كثير من الأمراض، وقدَّم العلم تفسيرات علمية لأسباب الزلازل والبراكين والحوادث الكونية، وبذلك لم تعد فائدة لصلوات رجال الدّين مدفوعة الأجر في شفاء الأمراض بعد أن اكتشفت الجراثيم وطرق علاجها، كما استغنوا عن تفسير أسباب الزلازل والبراكين والمصائب بأمور غيبية وعلل ميتافيزيقية.

ثم بلغت الجهود العلمية ذروتها بفضل إسحاق نيوتن(ت 1727م) [61] الذي أرسى أسسَ العلم الحديث، فأسهمت إنجازاته في تقويض أركان الإيمان الديني المسيحي في الغرب.

فكل ذلك أسس لموقف جديد من العلم المادي وإنجازاته في تفسير كثير من القوانين وفهمها- بعيدًا عن الكتاب المقدس وآراء الكنيسة- فسيطرت-عند طائفة من العلماء- فكرة آلية العالم وقوانينه الفيزيائية، بديلاً عن الإيمان بالغيب والتفسيرات الكنسية، حتى إنَّ

(61) إسحاق نيوتن رياضي وفيزيائي إنكليزي ، كان أستاذ الرياضيات بجامعة كيمبرج، اكتشف قانون الجاذبية ، واكتشف ألوان الطيف السبعة، وله كثير من الاكتشافات(ت 1727م).

(توماس هوبز ت 1679م) فيلسوف الإلحاد البريطاني الشهير شبَّه أجهزة جسم الإنسان بمجموعة من الآلات التي تحكمها القوانين الفيزيائية، وكان متحمسًا إلى فهم الإنسان بالاستناد إلى العلم التجريبي والمادة فحسب[62]، وجاء من بعده (فرويد ت 1939م) مفترضًا أن لا وجود إلا للمادة، ورأى أنه النهج الوحيد في دراسة النفس البشرية، وتبنى نموذج الإنسان الميكانيكي الذي قال به هوبز[63]

وبذلك ظهر الإلحادُ بشكل صريح في وجه النفوذ الكنسي الذي كان يتبنى الآراء المخالفة للعلم وللاكتشافات العلمية، ويفرض سيطرته وتحكمه في حرية الشعوب باسم الربّ والآراء المقدسة[64]، وشجع ذلك علماء الفيزياء والطبيعة في الاعتماد على التفسيرات المادية في فهم الكون والغرائز والانفعالات الإنسانية بعيدًا عن الفهم الكنسي

([62]) فيلسوف إنكليزي صاحب فلسفة مادية شديدة التشاؤم، كان يرى أن الحكم الملكي المطلق أفضل أشكال الحكم، وأن الخوف من الموت العنيف هو الدافع الأساسي الذي يحمل الناس على إقامة الدولة(ت 1679م).

([63]) انظر: روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 74–75، الدكتور عمرو شريف: خرافة الإلحاد، ص 22.

([64]) راجع: د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة)، ص 107.

والتفسيرات الغريبة، وشكَّل ذلك عند بعضهم شعورًا بالنشوة لانتصار العلم، وتبنوا المنهج المادي التجريبي الذي ينكر ما وراء المادة من أسباب وعلل، فانتهى بهم الأمر إلى ادعاء أنّ العلمَ عدو للدّين.

ومع أنّ الإلحادَ المعاصر بدأ بشكل كبير لدى فلاسفة وعلماء طبيعة ماديين في الغرب؛ إلا أنّ أفكارهم تسربت إلى بلادنا العربية والإسلامية، وظهر ذلك في مظاهر عدة:

– التعبير عن التمرد على الدّين في عالم إعلامي مفتوح استناداً إلى مظاهر تقدم مادي وحضاري للعالم الغربي ويقابله تخلف في البلاد العربية والإسلامية.

– حالة احتقان ورفض لكل مظاهر التدين أو المقدسات، وحتى للدين نفسه

– الوقوع في براثن الإلحاد والهزيمة النفسية أمام سطوة العالم المادي ومنجزاته وإغراءاته، والأفكار التي يروجها الملحد عن الدين

وعن الإله وعن القيود التي يفرضها التدين على العقل والحياة، والدعوة إلى تنحية الدّين عن الحياة، والزعمُ بأنه عدو العقل والحياة، وحجرة أمام أيّ تقدم حضاري، وكان تأثير تلك المواقف خطيرا على الإنسان وعلى العلم نفسه أيضاً، ويمكن أن نجملها في الآتي:

– الرؤية الجديدة دمَّرت العلمَ وقوانين الحياة أكثر مما دمَّرت اللاهوت والإيمان [65]، لأَنَّ الملحدين انطلقوا من فكرة مركزية تعتمد النظرة المادية، وتحاول تبنّي الآراء وإثبات كل الحقائق على أسس مادية فيزيائية –وخصوصًا بعد أن قامت الثورة العلمية في الغرب بنسف الأسس العلمية للمقدسات الدينية.

–هذه الرؤية اختزلت مفهوم الإنسان، وجعلته كائنًا ماديًا، مع أنَّ الإنسانَ كائنٌ اجتماعيٌّ وجماليٌ وليس كائنًا ماديًا فحسب[66].

([65]) رافي زكرایاس: الوجه الحقيقي للإلحاد ، ترجمة ماريانا كتكوت، رؤية للطباعة، ص 44.

([66]) راجع: رافي زكرایاس: الوجه الحقيقي للإلحاد ، ص 45.

– ضيقت من مفهوم الحقيقة العلمية، إلى أن أصبحت قاصرة على ما يحكم به القانون الفيزيائي فقط، والمقاييس المادية.

وكلّ ذلك يعد خروجًا عن بدهيات العقل ومقتضيات الإيمان، وقوانين العلم، فقضية الإيمان بالغيب وما وراء المادة قضية عقلية علمية يختلف منهج التصديق بها، والإيمان بمقتضياتها عن منهج البحث في موضوعات تجريبية حسية، لذلك كان الإلحادُ الذي يعتز بالإنجازات العلمية في مجال الفيزياء والطبيعة، يهدمُ الأسس العلمية والمنهجية في إثبات الحقائق، ومن أهمها الإيمان بالله تعالى

المطلب الثاني: الثورة العلمية ومبررات الإلحاد في الغرب

أولاً: التقدم العلمي في وجه عصر الظلمات

لا ينكر أنّ الثورة العلمية في الغرب كان لها أثر مدمّر للمسيحية في أوربا إذ أعقبها نزعة شكية إلحادية كبرى جعلت من القرن الثامن عشر أكبرَ عصر للشك في التاريخ الحديث حتى إنَّ ملك إنجلترا كان

يشكو أنَّ نصف أساقفة كنيسته ملاحدة[67]، إلا أنَّ موجة الشك التي أعقبها الإلحاد متزامنًا مع ثورة علمية وتكنولوجية كبيرة؛ لم يكن لأنَّ العلم قدَّم أدلة جديدة ومبررات علمية للفكر الإلحادي؛ بل من أهم أسبابها أنَّ العلماء اكتشفوا التناقضات العجيبة بين ما أنجزه العلم وما تضمنه الكتاب المقدس من الأساطير والخرافات المنسوبة للدين، بالإضافة إلى أنَّ الكتاب المقدس كان مليئًا بأخطاء علمية في مجالات كثيرة، جعلته عدوًا للعلم والإنسانية والتقدم الحضاري، يقول الكاتب والفيلسوف الأمريكي (روبير ج إنجرصول ت 1899) في بحثه (لننتهي من الكتاب المقدس):" إنَّ مؤلفي الكتاب المقدس قد أخطأوا فيما يتعلق بالخليقة وبعلم الفلك وعلم الجيولوجيا، وبكافة الظواهر الطبيعية" [68]. ثم يقول: " هذا الكتاب قد اضطهد حتَّى الموت أفضل

([67]) الدكتور عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية، نيو بوك–القاهرة، الطبعة الأولى 2016، ص33.

([68]) راجع : د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة) ص 139 .

وأحكم الأشخاص....قد أوقف تقدّم البشرية وسمَّم منابع المعرفة .. عدو للحرية الإنسانية ويمثل أكبر عقبة في طريق التقدم الإنساني"[69]

ثانياً: الإلحاد المعاصر في مواجهة الأفكار السائدة في الثقافة المسيحية:

بالإضافة إلى الأخطاء العلمية التي ارتبطت بالكتاب المقدس، سادتْ في أوربا حالة من الاستياء العام من الكنيسة ورجال الكنيسة وما ارتبط بتاريخهم من قمع للحريات والفكر، وفرضهم طوقًا من التعتيم والظلمات على عقول العلماء والمفكرين، وبرز فكر الشك والإلحاد كردّة فعل على تعاليم الكنيسة وقوانينها الجائرة التي تصدرها باسم الرب ، والممارسات القمعية بحق مَن يخالفها أو يشكك بقدسيتها، ثم ما لبثتْ تلك التعاليم والقوانين أن صبغت الحياة الاجتماعية في الغرب بصبغتها، تحت تأثير عوامل كثيرة.

([69]) د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه، ص 137- 145.

وقد وصف (فيكتور هيجو) حال العالم الغربي الذي مهد لظهور الإلحاد، فقال: "ورجال الكليروس يتدخلون في كل شيء حتى في البوليس، ورجالُ المال لا يقدّمون حساباتهم إلا لرجال الربّ، وقد أصبح هناك نظامان من الرقابة: الرقابة البوليسية، والرقابة الكنسية، واحدة تنهش حرية الرأي، والأخرى تنهش حرية الضمير على أي حال لقد أعيدت محاكم التفتيش"[70]

كل ذلك مهَّد لانفجار أعتى موجة إلحادية لم يشهدها العالم الغربي من قبل، وكان وقود تلك الموجة الإلحادية وشعارها رفض المفاهيم المقدسة في المسيحية التي تتعارض مع المنطق والعلم الحديث [71]، وذلك يعدّ –عند الملحدين– من أبرز مبرّرات الإلحاد، فالكتاب المقدّس في كثير من موضوعاته المتعلقة بالعلم مجابةٌ للعلوم والنظريات الحديثة، وهذا من أوضح وجوه الاختلاف بين ظروف العالم

([70]) راجع : د. زينب عبد العزيز: الإلحاد وأسبابه(الصفحة السوداء للكنيسة) ص 109 .

([71]) الدكتور عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية، ص 52.

الغربي الذي شهد موجة الإلحاد المعاصر، وبين العالم العربي والإسلامي الذي لم يعرف ذلك الصراع بين العلم والدّين وبين القرآن ومنجزات العلوم، فلا شيء من ذلك مصادم للعلم، ولا يمكن أن نجد في القرآن وجوهًا من التناقضات مثل التي كشفتها البحوث العلمية الحديثة في مضمون الكتاب المقدس والآراء التي تبنتها الكنيسة ولاحقت العلماء وعذبتهم من أجلها، بل إنَّ الموضوعات القرآنية ذات السمة العلمية تتفق مع النظريات العلمية الحديثة، وقد صرَّح بذلك موريس بوكاي بعد دراسته للموضوعات ذات السمة العلمية الواردة في التوراة ولإنجيل والقرآن[72]، وقال بأنَّ الوحي القرآني ليس خاليًا من التناقض فقط؛ بل يظهر لمن يمارس اختباره وتحليله بموضوعية كاملة في ضوء العلم: "الاتفاق التام مع النظريات العلمية الحديثة"[73] .

([72]) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة الثالثة 1993م، ص 19.

([73]) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص 293.

ثالثاً: الإلحاد بين العلمية والذاتية

تقدم القول بأنَّ المبرّر الذي تبناه الإلحاد المعاصر يتعلق بتطور العلوم ومعارضتها للدّين والنصوص المقدسة، إلا أنَّ ذلك في حقيقته لم يكن إلا شعارًا براقاً يخفي أسبابًا أخرى ودوافع ذاتية ونفسية وظروفًا اجتماعية، وإلا فأيّ تعليلٍ منطقي أو منهجي يمكن أن يقنعنا بأنَّ التناقضات العلمية أو تطور العلوم ينفي بداية الكون، ووجود خالق له ومدبر لشؤونه، وفق قوانين ثابتة وسنن محكمة، وقد كشف (ستيفن هوكينغ) في سيرته الذاتية عن الأسباب الذاتية في رفض بعض العلماء القول بوجود بداية للكون، فقال: "اتخذ العديد من العلماء مدفوعين على نحو غريزي موقفًا مناهضًا لفكرة وجود بداية ما للكون وانسحب بالتالي موقفهم المناهض هذا على نظرية الانفجار العظيم ذاتها؛ وذلك بدافع من اعتقادهم أنَّ الإيمان بخلق الكون في زمن ما سيوفر حجة تعمل على تقويض العلم؛ إذ ربما سيجنح الكثيرون حينئذ

نحو المواضعات الدينية القائلة بأنَّ يد الله هي من خلقت الكون من العدم" [74]

فـ(ستيفن هوكينغ)–رغم إلحاده– يفضح منهج الماديين والملحدين ويشير إلى الدوافع الغريزية والنفسية في تبني أيّ فرضية علمية تنتهي إلى القول بإنكار وجود الله تعالى، ويقابل ذلك رفض أي فكرة علمية منهجية ترسخ الإيمان بوجود الله تعالى، فعقول الماديين موصدةٌ ضد أي كلام علمي عن الإله والدين؛ وذلك راجع لتعصبهم المقيت ومعاندة العلم والحقائق العلمية عندما تتصل بالدّين، ولقد عبّر عن ذلك الموقف عالم بريطاني فقال: " إنَّ في عقولنا الجديدة تعصبًا يرجّح التفسير المادي للحقائق" [75]، ومثال ذلك ما ذكره (ويتكر شامبرز) في كتابه الشهادة عن حادث –كان من الممكن أن يصبح نقطة تحول في حياته– فقال بأنه بينما كان ينظر إلى ابنته الصغيرة استلفتت أذناها

([74]) ستيفن هوكينغ : موجز تاريخ حياتي: ، ترجمة لطفية الدليمي ، دار بانتام 2013، ص10 ; Mustafa Ünverdi, "Din Karşıtı Akımların Gençlik Yayınlarındaki İzdüşümü", VIII Dini Yayınlar Kongresi, 2019, İstanbul, Diyanet İşleri Başkanlığı Yay., Ankara, 2019, 266.

([75]) راجع: وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص 35.

نظره، فأخذ يفكر في أنه من المستحيل أن يوجد شيء معقد ودقيق كهذه الأذن بمحض اتفاق؛ بل لا بدَّ أنه وجد نتيجة إرادة مدبرة؛ لكنه طردَ تلك الوسوسة عن قلبه حتى لا يضطر أن يؤمن منطقيًا بالذات التي أرادت فدبَّرت؛ لأنَّ ذهنه لم يكن على استعداد لتقبل هذه الفكرة الأخيرة[76].

وقد أكد صاحب كتاب الإلحاد ومزاعمه العلمية أنّ " التقريرات الواثقة التي يُسرّ بها العلماء في غرفهم الخاصة ويزعمون فيها أنهم قد برهنوا على عدم وجود الله، لا علاقة لها بالعلم فضلاً عن كونها أقلَّ من أن تتعلق بقضية وجود الله ذاتها"[77]، وإن كان العلم الطبيعي قد

([76]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى ص 35.

(77) ديفيد بيرلنسكي: وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية، ترجمة عبد الله الشهري، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الأولى 1437هـ، ص 20، والكاتب هو عالم فلسفة ورياضيات يهودي علماني أمريكي، ألف كتابه للرد على مزاعم الملاحدة بأن العلم يهدم الإيمان، كما أنه قدم الأدلة على أن مزاعمهم لا علاقة لها بالعلم.

برهن على شيء فهو وجود حدود لما يمكننا معرفته، ما يمكننا تمنيه، ما يمكننا الحصول عليه[78].

فالملحد لم يستطع أن يقدّم أيَّ دليل على مزاعمه، وبات مقتنعاً بأن البحث في أدلة علمية على وجود الله تعالى يصطدم مع مسلّماته الذاتية وآرائه الشخصية وجملة أفكاره التي تتعصب لكل ما هو من منجزات العلوم التجريبية، فباتَ – بكل عناد وتحيز ضد العلوم والمناهج العلمية – منكرًا وجود الله تعالى، مبررًا ذلك بأنه لم يشهد الإله بميزانه الحسي وقانونه الفيزيائي، وهذا يعدُّ نقضًا لقانون العلم الذي يزعم أنه يتمسكُ به.

ولذلك يمكن القول بأن هذه النزعة الشكية الإلحادية الكبرى وإنكار أساسيات النظرة الدينية لم تكن مشكلة علمية على الإطلاق أو مشكلة موضوعية، بل كانت مشكلة ذاتية، فقضية الإلحاد في المقام

(78) راجع: ديفيد بيرلنسكي: وهم الشيطان، الإلحاد ومزاعمه العلمية، .، ص 261.

الأول والأخير نفسية تحتاج إلى حلول نفسية قبل كونها بحاجة إلى حشد حجج وأدلة أو سياقات معرفية عقلية[79].

وإلا فكيف نفهم أنّ الثورة العلمية أدّت إلى زلزلة النظرة الدينية للعالم بالرغم من أنه سواء كانت الأرض هي مركز الكون أو كانت مجرد تابع صغير يدور في فلك الشمس، فإنَّ ذلك في قانون العلم ومناهجه لا يمنع من وجود إله خالق لكل شيء[80] وهذا ما أكده بشكل صريح موريس بوكاي في نقده لمحاولة الربط بين الإلحاد والإنجازات العلمية، فقال: إنَّ وجود هذه التضادات والاستحالات والتناقضات لا تخدش الإيمان بالله مطلقًا، ولكنها تثير موضوع

([79]) د.أحمد عكاشة، مقدمة كتاب الإلحاد مشكلة نفسية، ص 14.

([80]) الدكتور عمرو شريف: خرافة الإلحاد، 2016، ص24، الإلحاد مشكلة نفسية، نيو بوك–القاهرة، الطبعة الأولى 2016، ص34.

مسؤولية البشر في نقل النصوص المقدسة والمحافظة عليها بعيدًا عن الهوى أو التغيير والتصرف فيها [81]

فهناك خلل علمي ومنطقي في البناء الإلحادي وأصل نظرته للعلوم ومناهجها....فلا يوجد أي معنى مقبول يمكن الاستناد إليه في استشهاده بتطور البحوث العلمية وتنامي الإنجازات البشرية.

المطلب الثالث: نقض الشبهة العلمية للفكر الإلحادي:

إنَّ أسس الفكر الإلحادي تقوم على تناقضات ومزاعم كثيرة من أهمها، اختزاله للمنهج العلمي في جانبه المادي، وإنكار الملكات غير المادية أو فهمها وفق القوانين الفيزيائية، وزعمه أنَّ العلم أجاب عن الأسئلة الوجودية وغيرها، وهذا ما سأناقشه في هذا المبحث، وأبين تناقضه ومزاعمه الباطلة

([81]) موريس بوكاي: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة الثالثة 1993م، ص 19.

أولاً: الفكر الإلحادي يقوم على الفكر المادي وليس البرهان العلمي:

إن جذور الفلسفة المادية التي تبناها الإلحاد المعاصر تمتد إلى (أوغست كونت) الفيلسوف الفرنسي رائد الفلسفة الوضعية، وفلسفته تنكر كل ما لا يمكن رصده، رافضة كل تفكير في الغيبيات وعلى رأسها الإله.

ولكن عصر الفلسفة الوضعية ينتهي عندما يعلن منظرها الأكبر(سير ألفريدآير) أنّ هذه الفلسفة مليئة بالتناقض، وأنه لا يمكننا تطبيق قواعد البحث في العلوم التجريبية التي تعتمد على الحواس كالكيمياء والفيزياء على العلوم الإنسانية كالفلسفة والمنطق والأخلاق، ولا يمكن دراسة المفاهيم الدينية بمقاييس المفاهيم العلمية، فلا ينبغي مثلاً فهم مقولة: إنَّ الله موجود، وخالق للكون، ومدبر لشؤون

المخلوقات، بمفاهيم المكان في فيزياء (نيوتن) أو فيزياء (أينشتين)؛ وبذلك قام إعلان موت الفلسفة الوضعية المنطقية ودفنها[82]

فالأب الحقيقي للإلحاد المعاصر هو الفكر المادي الذي أعاد إحياء الفلسفة الوضعية المنطقية بعد موتها، تلك الفلسفة التي تطلب لكل افتراض أو مسألة برهانًا تجريبيًا أو رياضيًا أو منطقيًا مباشرًا، وقد عبَّر عن ذلك الموقف كبار الفلاسفة الماديين، وأشهر الملحدين، ومنهم:

(أنتوني فلو) الذي أعلن مقولته الشهيرة التي تمثل الإلحاد المعاصر –قبل أن يترك الإلحاد– إنَّ على المرء أن يبقى ملحدًا حتى يجدَ الدليل التجريبي على وجود الله، ولكنه بعد ذلك أقرَّ في كتابه

([82]) الدكتور عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية، ص38–39، آينشتاين ألبرت: فيزيائي ألماني من عباقرة العلماء، وضع عددًا من النظريات في الفيزياء أدخلت مفاهيم جديدة للزمان والمكان والحركة والضوء والجاذبية.

(هناك إله) بأنه وصل بصورة متعجلة وسطحية جدًا إلى نتيجة عدم وجود إله، ثم تبين له بعد ذلك أنها كانت أسبابًا خاطئة جدًا[83]

وأيضا (ديفيد هيوم) بقوله: إننا قد رأينا الساعات وهي تصنع في المصانع ولكننا لم نر الكون وهو يصنع، فكيف نسلم بأنَّ له صانعا[84].

كما حاول مؤلف كتاب (الله الفرضية الفاشلة) أن يقحم علم الفيزياء وعلوم الطبيعة في قضية وجود الله تعالى، والاعتماد على نتائج العلوم التجريبية، فقال: "إنَّ العلم قد أحدث ثورة في كل مجال من الحياة البشرية ووضح بشكل كبير فهمنا للعالم فقد نشأت بشكل ما

([83]) أنتوني فلو: هناك إله، ترجمة الدكتور صلاح الفضلي، مراجعة وتعليق الدكتور الشيخ مرتضى فرج، الطبعة الثانية 1438م، ص 19، وانظر: الدكتور صلاح فضلي: مقدمة كتاب أنتوني فلو: هناك إله، ص 3 ، في عام 2004 وبعد خمسين سنة من الإلحاد والدفاع عنه، أعلن أنتوني فلو عن تحوله إلى الإيمان وتخليه عن الإلحاد بعد أن كان أبرز منظريه ، وكتب كتابًا نسخ كل كتبه السابقة وسماه(هناك إله) وقال في مقدمة كتابه: أما الآن فقد انتهيت إلى القناعة بان أعرض فيه ما يمكن تسميته وصيتي وشهادتي الأخيرة باختصار، وكما يدل عنوان الكتاب أنا أعتقد الآن بأن هناك إلهًا (ص 5).

([84]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، تعريب: دكتور ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة، ص 12

فكرة أنه لا يملك ما يقوله حول كائن أسمى يعبده معظم البشرية كمصدر لكل الحقيقة" [85]،، ثم زعم بأنَّ الله لو كان موجودًا "لا بدّ أن يظهر في مكان ما ضمن فراغات أو أخطاء النماذج العلمية" [86] وبذلك وقع الأخير في خلل علمي ومنطقي؛ لأنه يريد أن يجعل من عدم وجود دليل حسي وفيزيائي على وجود الله تعالى بطلان وجوده، وقد ألَّف كتابه لهذه الغاية وجعل منه شاهد زور على عدم وجود الله [87]، فالقاعدة التي استند إليها مع غيره من الملحدين أنَّ انعدام الدليل قد يكون دليلاً على العدم، وأقاموا على ذلك برهانًا سموه برهان غياب الأدلة، فحين لا نملك أدلة أو سببًا آخر للاعتقاد بكيان ما فيمكننا التأكد أنَّ هذا الكيان غير موجود[88]، وهي قاعدة مبتورة قد تصلح في جانب واحد من جوانب الحقيقة العلمية وهو الوجود الحسي، إلا أنها لا

([85]) فيكتور جون ستينجر: الله النظرية الفاشلة، ترجمة الدكتور كمال طاهر، 2012، ص 17.

([86]) السابق، ص17.

([87]) فيكتور جون ستينجر: الله النظرية الفاشلة ، ص17.

([88]) السابق، ص25-27.

تصلح أن تكون قاعدة لإثبات جملة الحقائق المتعلقة بالعلوم الغيبية وقضايا الإيمان والاعتقادات

فكان طبيعيًا لفلسفة تعتمد على الاختبار الحسي والفرضيات المستندة على العلم التجريبي أن ترفض جميع العلوم الإنسانية والدينية التي لا تقوم على البراهين الحسية، وهذا يؤكد لنا أنّ الملاحدة الجدد لم يدركوا نقاط الضعف الجذرية في بنية الفلسفة الوضعية المنطقية البائدة التي يسعون لإحيائها، وأهم هذه النقاط تطبيق المنهج العلمي التجريبي على العلوم الإنسانية، كما أنهم لم يطلعوا على الكم الهائل من الدراسات الفلسفية الجديدة ولا على البراهين القوية وتوسع المناهج العلمية في إثبات الحقائق التي قدمها العلم وصارت تخدم قضية الإيمان.

ففي القرن العشرين تلتقي الفيزياء ومبحث الأعصاب وعلم النفس الإنساني وعلوم الطبيعة على أنَّ الحقائق الإيمانية والملكات

الفكرية ليست جزءًا من الوجود المادي، وأن لها وجودًا حقيقياً، ومن أمثلة ذلك اعتماد المناهج العلمية الحديثة عدم قابلية إرجاع العقل إلى مادة، ذلك أنَّ المادية لا تعترفُ إلا بنوعين من العلل: الصدفة والضرورة، ولكن أيًا من هذين النوعين عاجز عن تفسير العمليات العقلية، كما أنه عاجز عن تفسير الجمال المشاهد في الطبيعة، فالنظرة القديمة حين يتعذر عليها تفسير الحقائق الروحية بلغة المادة وحدها تفزع في الغالب إلى المستقبل مفترضة أنَّ الجواب سيأتي بعد قرن أو قرنين آخرين من البحوث، وهي وعود مسرفة وغير قابلة للإنجاز، أما النظرة الجديدة فهي على نقيض ذلك تأسست على ما هو معروف الآن لا على اكتشاف خيالي يأتي به المستقبل، والحلم العقيم بأن يأتي يوم تستطيع فيه المادة أن تقدم تفسيرًا للعقل أو لحرية الإرادة أو للجمال[89]

([89]) راجع: روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 126–128، الدكتور عمرو شريف: الإلحاد مشكلة نفسية، ص46.

وفي كتاب (الله يتجلّى في عصر العلم) ثلاثون مقالاً لثلاثين من كبار العلماء الأمريكيين في الاختصاصات العلمية المختلفة من علوم الكون السائدة في هذا العصر الحديث، وقد أثبت هؤلاء العلماء في مقالاتهم هذه وجود الله جلا وعلا عن طريق ما وعوه من الأدلة الكثيرة المنبثة في مجالات اختصاصاتهم العلمية [90].

فالحقائق العلمية قد تثبت بالتجربة، وقد تثبت بالاستنباط، وما يتم التوصل إليها بالاستنباط هي حقائق ثابتة، لا فرق بينها وبين ما توصلنا إليه بالتجربة ، فالحقيقة هي الحقيقة مهما اختلفت وسائل الوصول إليها، فحقائق الكون لا تدرك الحواس منها غير قليل، فكيف نعرف شيئًا عن الكثير الآخر، فهناك الاستنباط أو التعليل، وكلاهما طريق فكري نبتدئ به بوساطة حقائق معلومة لنستنبط أشياء لم

([90]) راجع: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، تحرير: جون كلوفرمونسيما، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: جمال الدين الفندي،دار القلم، بيروت، ص 8–10 ، صراع مع الملاحدة حتى العظم ، ص115.

نشاهدها[91].فالإله الذي نسلّم بوجوده لا ينتمي إلى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة أن تدركه، فمن العبث أن نحاول إثباته باستخدام العلوم الطبيعية والتجربة المباشرة[92]

فالعقل الحديث لا يحصر دائرة العلم في وقائع يمكن تجربتها مباشرة وإنما يعتمد على أنّ أيَّ قرينة منطقية تستند إلى تجارب ومشاهدات غير مباشرة يمكن أن تصبح حقيقة علمية بنفس درجة الحقائق العلمية التي نتمكن من مشاهدتها مباشرة[93]

ثانياً: حقيقة الملكات غير المادية:

إنّ المناهج العلمية الحديثة تؤكد ما استقرّ عليه العلم وأثبتته البراهين العقلية والمنطقية، من وجود جوانب غير فيزيائية لا تقلّ

([91]) راجع: وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى ، ص 41-42.

([92]) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، تحرير: جون كلوفرمونسيما، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، ص 19.

(93) راجع: وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ترجمة ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة 1987م، ص 21، 23.

مكانتها والحاجة إليها عن الجوانب الفيزيائية، بل تتفوق عليها؛ فالنظرة العلمية الجديدة تبين أنَّ حياة الإنسان الفكرية وحياته الأخلاقية وحياته الروحية هي حقائق تمامًا مثل حياته البيولوجية، قال عالم النفس(أبراهام ماسلو Abraham maslow) في ردّه على الذين يحصرون جميع الأنشطة الإنسانية في دائرة الدوافع والغرائز: هناك حاجات أسمى غير مادية، هي أيضاً أساسية؛ فإذا كان العقل ليس من صنع المادة – كما هي نظرة العلم الجديدة– فهذا يعني أنَّ له حياة خاصة به مستقلة عن المادة وعن الغرائز، فعلم النفس في نظرته الجديدة يقرُّ بأنَّ العقل والعزيمة هما أسمى ملكاتِ الإنسان، وهذه النظرة تعيد العقل إلى مكانته فوق المادة لا تحتها أو خارجها أو جانبها، فالعقل والإرادة لا يسيطران على الجسد فحسب؛ بل يسيطران أيضًا على الانفعالاتِ ويبطلانها عند الضرورة [94]

([94]) انظر: روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 83–86.

فقدرتنا على التجربة والملاحظة لا تستطيع أن تمتد لكلّ الملكات الإنسانية؛ بل إنها لا تمتد لغير جزء ضئيل نسبيًا من الحقيقة الكلية؛ وكذلك شأن كل الحقائق التي نؤمن بها ولا تنتمي لعالم الماديات، فماذا عن الفلسفة والأدب والفن والموسيقى وعلم الأخلاق، كيف يحكم العلم بأنَّ قصيدة ما سيئة أو أنها إبداع كبير، هل يمكن ذلك عن طريق إحصاء عدد الكلمات أو معرفة ترتيب الحروف، كيف يحكم العلم أنَّ لوحة ما تمثل قطعة ثمينة وليست مجرد تلويث للقماش بالألوان، لا شك أنّ ذلك لن يكون بالتحليل الكيميائي للأصباغ[95]

فالإدراك الحسّي حقيقة ؛ ولكنه ليس المادة ولا هو من خواص المادة، وليس في مقدور المادة أن تفسره، فليس عند المادية ما تقوله في عملياتُ الإبصار والشمّ والذوق والسمع واللمسِ، وكذلك العقل،

([95]) صراع مع الملاحدة حتى العظم، ص57.

فالنظرة الجديدة تفترض وجود عنصرين جوهريين في الإنسان، الجسم والعقل[96].

فالتفكير الإلحادي الذي يرتبط بحدود المادة –التي لم يشهد العلم حتى العصر الحاضر إلا القليل منها– يشبه موقف الأعمى الذي ينكر وجود الألوان؛ لأنه لا يراها أو الأصمّ الذي ينكر وجود الأصوات؛ لأنه لا يسمعها، أو موقف الحمقاء حبيسة القصر التي ترى أنَّ الوجود كله هو هذا القصر الذي تعيش فيه؛ لأنَّها لم تشاهد في حياتها غيره، فما حظ هؤلاء من العلم والأمانة العلمية ومطابقة الحقيقة والواقع!، كذلك الملحدون لا حظ لهم من العلم والأمانة العلمية ومطابقة الحقيقة والواقع؛ إذ ينكرون الخالق جلا وعلا ويصرون على إنكاره ولا يملكون دليلاً واحدًا على نفي وجوده[97].

([96]) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 40.

([97]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، تعريب: دكتور ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة، ص 89.

كما أنَّ توقع العثور على ملكة العقل في أحد أجزاء الدماغ أو في الدماغ كله أشبه بتوقع كون المبرمج جزءًا من الحاسبة الإلكترونية، والمصور جزءًا من الصورة، والرسام يقبع في زاوية من رسوماته، يقول عالم الأحياء(أدولف بورتمان): ما من كمية من البحث عن النسق الفيزيائي أو الكيميائي يمكنها أبدًا أن تقدِّم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية"[98] .

وإن جراح الأعصاب(ويلدر بنفيلد) صاحب كتاب(لغز العقل)، بدأ أبحاثه بهدف إثبات أنّ الدماغ يفسِّر العقلَ كما هي النظرة المادية القديمة التي تبناها الإلحاد، غير أنَّ الأدلة حملته آخر الأمر- وبعد إجراء عمليات جراحية على أدمغة ما يربو على ألف مريض- على الإقرار بأن العقل البشري والإرادة البشرية حقيقتان غير ماديتين،

([98]) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ترجمة الدكتور كمال خلايلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص 29.

وقال: " يا لهُ من أمرٍ مثير أن نكتشف أنَّ العالم يستطيع بدوره أن يؤمن عن حق بوجود الروح"[99].

ثالثاً: إجابات العلم:

إنَّ منجزات العلم ووسائله تشهد بأنه أجاب عن الجزء الخاص بوجود الأشياء المادية دون الإجابة عن حقيقتها وغايتها وسبب وجودها، ومن وضعها ؟ وهي الأسئلة التي يعترف الملحد بأنه لم يجب عنها وأنه تجاوزها، بل أغمض عينيه عنها، ويعبر عن ذلك الموقف ستيفن هوكينغ بقوله: الدين لا مكان له؛ لأنه يطرح أسئلة من أين وإلى أين ولماذا...؟ وقال: إنّ العلم بإجابته عن كيف فقد عوضنا بالإجابة عن لماذا، ثم قال: لستُ معنيًا بالإجابة عن لماذا[100]. وهذا اعتراف منه وإقرار بأن الجانب المهم في الحقيقة لم يستطع العلم

([99]) روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص 41.

([100]) https://www.youtube.com/watch?v=vvjxMP6zH58.

المادي أن يجيب عنه، وزعم بأنه ليس معنيًا به، عناداً وتسليمًا منه بموقف المنكر لوجود الإله وصانع العالم وقوانينه التي تسيّره.

فالعلم الذي يستدلُّ به الملحدون على إنكار الإله والدين، لم يستطع أن يجيب عن أهم أسئلة العلم وأخطر قضية تتعلق بالوجود البشري والوجود الكوني، وهي حقيقة وجود الأشياء وغاياتها .

وقد أدرك رجال العلوم أنّ وسائلهم وإن كانت تستطيع أن تبين لنا بشيء من الدقة والتفصيل كيف تحدث الأشياء– الإجابة عن كيف– كما هو الحال في الزلزال الذي وقع صباح السادس من شباط 2023م، وقتل عشرات الآلاف في جنوب تركيا وشمال سوريا[101]، فإنها لا تزال عاجزة كل العجز عن أن تبين لنا لماذا تحدث الأشياء–

([101]) وهو زلزال قهرمان مرعش أو زلزال تركيا وسوريا، وهم في الحقيقة عدة زلازل في يوم واحد، زلزالان تجاوزا درجة 7، وقع الأول في الساعة 4:17 صباحًا ، وبلغت قوته 7.8 درجة على مقياس ريختر، والثاني في الساعة 13.24 ظهرا، بقوة 7.5 على مقياس ريختر، ويُعدُّ هذا الزلزال من أقوى الزلازل في تاريخ تركيا وسوريا، وحسب الإحصائيات الأولية فقد تجاوز عدد القتلى في تركيا وسوريا جراء الزلزال 50 ألف قتيل و120000 مصابًا، وخلّفا أضرارًا مادية جسيمة في كِلا البلدين،

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D

الإجابة عن لماذا–[102]، قال (ستيفن هوكينغ) : إنَّ قوانين الطبيعة تخبرنا بالكيفية التي يتصرف بها الكون؛ لكنها لا تجيب على أسئلة لماذا، ثم قال هروبًا من الإجابة : "من الممكن الإجابة على تلك الأسئلة بوضوح في مجال العلم من دون استحضار أيّ قوى غيبية" (103)

فهل حقًا استطاع العلم الإجابة عن تلك الأسئلة ؟ أم أنّ الإجابات اقتصرت على الجانب المادي الفيزيائي؟ جواب ذلك نجده عند أحد علماء الفيزياء الأكاديميين، قال: وكثيرًا ما طلبتُ إلى تلاميذي أن يصفوا لي شيئًا غيرَ ماديٍّ مثل(الفكرة) وطلبت إليهم أن يبينوا لي التركيب الكيماوي للفكرة وطولها بالسنتيمترات ووزنها بالجرامات ولونها وضغطها وأن يصفوا لي شكلها وصورتها، وقد عجزوا جميعًا عن تحقيق ذلك، وصارَ من الواضح أنه لكي نصف

([102]) راجع: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين ، ص43.

([103]) ستيفن هوكينج : التصميم العظيم ، ص 206.

أمرًا غير مادي لا بدَّ من استخدام مصطلحات وأوصاف أخرى تختلف اختلافًا كثيرًا عن المصطلحات التي نستخدمها في دائرة العلوم[104].

كما أنَّ قوانين الطبيعة التي تكلَّم عنها ستيفن هوكينغ ملتمسًا الإجابات عندها هروبًا من الإقرار بوجود القوة الإلهية، ما تزال وستبقى عاجزة عن معرفة البدايات بالمعنى الأصيل للكلمة وعاجزة عن معرفة حقيقة سؤال كيف، ناهيك عن سؤال لماذا **(105)**، فلا يستطيع أي قانون طبيعي أن يشرح أو يعلّل الأسباب التي وراء كل ما يحدث، فقد أبان لنا العلم عن كثير من الأشياء التي لم نكن على علم بها، ولكنَّه لم يستطع أن يحلّ محلَّ الدين الذي يجيب عن سؤال آخر، فلو أنّ الكشوفَ زادت مليونَ ضعف عنها اليوم فسوف تبقى الإنسانية بحاجة إلى الدّين، فما الكون على حاله هذه إلا كمثل ما كينة تدور تحت

([104]) هو ميريت ستانلي كونجدن عضو الجمعية الأمريكية الطبيعية، ومختص بالفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم، راجع: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ص 24.

([105]) راجع: رافي زكراياس: الوجه الحقيقي للإلحاد ، ص 48.

غطائها، لا نعلم عنها إلا أنها تدور، ولكنا لو فتحنا غطاءها فسوف نشاهد كيف ترتبط هذه الماكينة بدوائر وتروس كثيرة يدور بعضها ببعض ونشاهد حركاتها كلها، ...هل يُفهم علمياً ومنطقيًا أن مشاهدتنا هذه أثبتت أنَّ الماكينة جاءت من تلقاء ذاتها وتقوم بدورها ذاتياً، فإذا سلمنا بأن هذه الاستدلال ليس علمياً ولا منطقياً، فكذلك الأمر في كل مشاهدات وعمليات الكون التي لا يمكن للعلم الحسي أن يثبت أنها تسير تلقائيًا وتتحرك ذاتيًا [106]

ومثال آخر على ما زعمه الماديون من أنَّ العلم أوجد الكون من مادة، وأنه لا أثر للخالق فيه، وبالتالي فلا حاجة مع وجود هذه العلوم والاكتشافات إلى القول بالخالق، وقالوا متعالين: لقد كان الإنسان القديم يعتقد أن خروج الكتكوت من البيضة إنما كان بقدرة إلهية، أمّا اليوم فقد علمنا أنَّ الكتكوت بعد 21 يومًا يظهر على منقاره قرن صغير

([106]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص 22-23.

يستعمله في تكسير قشرة البيضة فيخرج منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة. [107]

إنهم حين يقفون عند هذا الحدّ في خلق الكتكوت تفوتهم أمور كثيرة لا يستطيعون الجواب عنها هي أشدّ من تكسير البيضة، إذ يقال لهم: كيف يظهر هذا القرن؟ إنّ السبب الحقيقي سوف يتجلّى لأعيننا حين نبحث عن العلّة التي جاءت بهذا القرن، العلّة التي كانت على معرفة تامة بأنَّ الكتكوت يحتاج لهذا القرن ليخرج من البيضة[108]

فلا يمكن للماكينة أن تعمل وحدها بشكل منتظم ودقة متناهية بمجرد وجود الجسم المادي والأجزاء التي تتكون منها، ولا يمكن تعليل ظهور قرن صغير للكتكوت لكسر البيضة بمجرد معرفة المدة التي يحتاج فيها إلى هذا القرن من أجل الخروج، كما لا يمكن لهذا الكون بكل مكوناته المادية وتنظيمه وإحكامه أن يسير وفق قانون آلي، دون

(107) راجع: وحيد الدين خان: الدين في مواجهة العلم، ص 67.

([108]) وحيد الدين خان: الإسلام يتحدى، ص 20.

أن يضطرنا ذلك للإيمان بوجود القوة الإلهية التي وراء كل ما نشاهده من وجود النظام والإحكام؛ فالتفكير العميق في كل تلك الأمثلة والأسئلة وحركات الكائنات سوف تضطرنا إلى الإيمان بالله[109]

الخاتمة:

بعد أن تناولت –عرضاً ومناقشة ونقدا– الشبهة العلمية التي يتمسك بها الفكر الإلحادي المعاصر، أسجل أهم النتائج:

– بدأ الفكر الإلحادي المعاصر بالاعتماد على العلم المادي وإنجازاته في تفسير كثير من القوانين وفهمها– بعيدًا عن الكتاب المقدس وآراء الكنيسة– فسيطرت فكرة آلية العالم وقوانينه الفيزيائية، بديلاً عن الإيمان بالغيب والتفسيرات الدينية التي تبناها رجال الكنيسة

([109]) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، تحرير: جون كلوفرمونسيما، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: جمال الدين الفندي، دار القلم، بيروت، ص 31.

– لم يكن ارتفاع صوت الإلحاد لقوة حجته أو ظهور مؤيدات علمية لفكره؛ بل هو ظاهرة صوتية أسهمت أسباب كثيرة في طرحه والترويج له أو تزيينه، ويشترك في ذلك الإعلام وبعض المؤسسات والشخصيات والمراكز والمنتديات الإلحادية التي تبنت الفكر الإلحادي

– إن الاعتماد على العلم المادي في الوصول إلى الحقائق الكبرى ومنها الإيمان بالله تعالى ، يعدُّ خروجاً عن حدود العقل ومقتضيات الإيمان، وقوانين العلم نفسها، فقضية الإيمان بالغيب وما وراء المادة قضية عقلية علمية يختلف منهج التصديق بها، والإيمان بمقتضياتها عن منهج البحث في موضوعات تجريبية حسية.

– الفكر الإلحادي الذي يعتز بالإنجازات العلمية في مجال الفيزياء والطبيعة، يهدمُ الأسس العلمية والمنهجية في إثبات الحقائق، ومن أهمها الإيمان بالله تعالى ، فالملحدون ليس لهم أدلة يمكن أن يعتمدوا عليها في نفي وجود الخالق جلَّ وعلا إلا الارتباط بالمادة

المدركة بالحواس الإنسانية أو بالأجهزة التي توصَّل إليها الإنسان وهذا لا يستطيع أن يقدّم أي دليل على النفي

– التقدم الصناعي والتكنولوجي لم يكن ولن يكون في الحقيقة ملحدًا بالله، بدليل أن معظم أئمة التقدم الصناعي والتكنولوجي وأئمة العلوم الحديثة مؤمنون بأن لهذا الكون خالقًا يصرف أموره بعلمه وقدرته وعنايته وحكمته، من هذا الذي يستطيع أن يثبت أن علوم الفيزياء والكيمياء والطب وعلوم الرياضيات والفلك والأحياء والنباتات وعلوم الذرة والصواريخ والمركبات الفضائية علوم قائمة على أسس الإلحاد بالله والكفر بقدرته وعلمه وعنايته، فإذا وجدنا ملحدًا واحدًا من علماء هذه العلوم وجدنا مقابله عشرات المؤمنين بالله من كبار هؤلاء العلماء أنفسهم، ونجد في أقوالهم الكثيرة ما يدعم قضية الإيمان

– كشفت أضواء العلم الحديث عن حقائق الدين، ولم تنجح من أية ناحية في الإساءة إليه؛ بل إنّ جميع ما وصل أو سيصل إليه العلم

الحديث هو بمثابة تصديق لما أسماه الإسلام "الحقيقة الأخيرة" قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، **{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد}**[فصلت:53]

المصادر والمراجع

Aygün, F. (2017), “Ateizme Yol Açan Faktörler” ,*e-Makalat*, 10/2, 531-562.

الإسلام يتحدى : وحيد الدين خان، تعريب: دكتور ظفر الإسلام خان، مراجعة وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة.

أصل الأنواع: تشارلز داروين، ترجمة إسماعيل مظهر، نشر مؤسسة هنداوي، 2018م

الإلحاد مشكلة نفسية : الدكتور عمرو شريف ، نيو بوك-القاهرة، الطبعة الأولى 2016

الإلحاد وأسبابه: د. زينب عبد العزيز ، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، الطبعة الأولى 2004م

الله النظرية الفاشلة، فيكتور جون ستينجر، ترجمة الدكتور كمال طاهر، 2012

الله يتجلّى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، تحرير: جون كلوفرمونسيما، ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: جمال الدين الفندي،دار القلم، بيروت

براهين وأدلة إيمانية: الدكتور عبد الرحمن حبنكه، دار القلم- دمشق، الطبعة الأولى

تاج العروس: مرتضى، الزَّبيدي ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية

التصميم العظيم: ستيفن هوكينج ، ترجمة ايمن أحمد عياد، دار التنوير للنشر والطباعة، الطبعة الأولى 2013م

التوراة والإنجيل والقرآن والعلم: موريس بوكاي، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي–بيروت، الطبعة الثالثة 1993م

Ünverdi, M. (2019), "Ateizmin Nedenleri", 2. Uluslararası Mersin Sempozyumu, Mersin.

حوار ساخن عن الإلحاد: هادي المدرسي، مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث، الطبعة الأولى 2017م

خرافة الإلحاد: الدكتور عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية –القاهرة، الطبعة الأولى 2014

الدين في مواجهة العلم: وحيد الدين خان: ترجمة ظفر الإسلام خان، دار النفائس، بيروت، الطبعة الرابعة 1987م

صراع مع الملاحدة حتى العظم: د.عبد الرحمن حبنكه، صراع مع الملاحدة حتى العظم ، دار القلم–دمشق، الطبعة الخامسة ، 1992م

العلم في منظوره الجديد : روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو ، ترجمة الدكتور كمال خلايلي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م

مليشيا الإلحاد: عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث، السعودية، الطبعة الأولى 2014

Ünverdi, M. (2019), "Din Karşıtı Akımların Gençlik Yayınlarındaki İzdüşümü", VIII Dini Yayınlar Kongresi, İstanbul, Diyanet İşleri Başkanlığı Yay.

منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، 1406 هـ

موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، ط1، 1996م

موجز تاريخ حياتي: ستيفن هوكينغ، ترجمة لطفية الدليمي ، دار بانتام 2013

نفسية الإلحاد: د.بول سي فيتز، ترجمة مركز دلائل، الطبعة الثانية ، دار وقف دلائل النشر الرياض،2003

نهاية الإقدام: الشهرستاني، طبعة ألفرد جيوم، الناشر مكتبة المتنبي القاهرة – مصر

هناك إله: أنتوني فلو، ترجمة الدكتور صلاح الفضلي، مراجعة وتعليق الدكتور الشيخ مرتضى فرج، الطبعة الثانية 1438م

الوجه الحقيقي للإلحاد: رافي زكرياس، ترجمة ماريانا كتكوت، رؤية للطباعة

وهم الشيطان: الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة عبد الله الشهري، مركز دلائل، الرياض، الطبعة الأولى 1437هـ

وهم الإله: ريتشارد دوكنز، 2009، نسخة تجريبية، 2009م.

Sevinç, K. (2017), "Ateizmin Boyutları ve Tipleri", *İslami İlimler Dergisi*, 12/3, 101-132.

Ünverdi, M. (2020), "Din Karşıtı Yayınlar ve Gençlerde Ateistik Eğilimlerin Nedenleri*", İlahiyat Akademi Dergisi*, sayı:12, 145-181.

Ünverdi, M. (2018), "Mu'tezile'de Kötülük Problemi", 1. Uluslararası Mersin Sempozyumu, Mersin.

https://www.youtube.com/watch?v=vvjxMP6zH58

https://www.youtube.com/watch?v=vvjxMP6zH5

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D

https://m.facebook.com/Abouzaid.Elmokrie.Elidrissi/videos/2116187802005471

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=412606

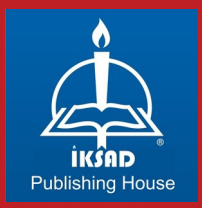

ISBN: 978-625-367-458-8